

الجولان

الأرض الأسيرة

أحمد يحيى افنيخر

اسم الكتاب: الجولان - الأرض الأسيرة

اسم المؤلف: أحمد يحيى افنيخر

١٠٠٠/٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ - الطبعة الثانية



سورية - دمشق - ص ب ٤٦٥٠

فاكس: ٢٣٢٢٥٤٠ ١١ ٩٦٣ + هاتف: ٢٣٢٦٩٨٥ ١١ ٩٦٣ +

مستودع: ٥١٣٦٥٢٦ ١١ ٩٦٣ + موبايل: ٠٠٩٦٣٩٣٣٤٤٩٧٣٤

E-mail:ninawa@scs-net.org

ninawa@ninawa.org

www.ninawa.org

العمليات الفنية: التنضيد والإخراج و تصميم الغلاف والطباعة

مطبعة دار نينوى - القسم الفني

القياس ١٤،٥ × ٢١،٥

عدد الصفحات: ١٧٦

تصميم الغلاف: رضوان الأحمد

للتواصل مع المؤلف: ef.ahamd@hotmail.com

أحمد يحيى افنيخر

الجـــولان
الأرض الأســـيرة

إهـــداء

إلى السيد الرئيس بشار الأسد الذي جعل الجولان همّنا الأول وشغلنا الشاغل ، وتحرير أراضيه المحتلة هدفا أساسيا وموقعه في المقدمة من سلم الأولويات الوطنية .

إلى القادة الوطنيين الذين يدخلون التاريخ من بوابة الوطن ويدخلون إلى عالم الخلود من البوابة ذاتها ، ولا يدخلونها من بوابة التفريط والتنازلات .

إلى الجولان .. الأرض التي لم تطأها قدمي ، وأشتاق لتقبيل ترابها والعيش عليها ، أعشقها لأنها أرضي وأحنّ إليها لأنها تحمل ذكريات طفولة والدي وأجدادي .

Author : AHMAD EFNAKHER
Original Title : GOLAN OCCUPIED LAND

First Edition
2009 -1430

Dar ninawa
Damascus - Syria

مقدمة

هذا الكتاب .. الجولان " **الأرض الأسيرة** " يبحث في تاريخ المكان وجغرافيته ، والناحية السياسية التي أضفت عليه خصوصية ما ، ويلقي الضوء على أغلب المساحة إن لم يكن كاملها في الجولان العربي السوري المحتل .

يقع كتاب الجولان الأرض الأسيرة في ثلاثة أبواب رئيسية ، يتضمن الأول منه خمسة فصول ، يبحث الأول منها في موقع الجولان وحدوده المطل عبرها على ثلاث شقيقات عربيات لسورية ، وتُفتح في هذا الفصل نافذةً من التاريخ على الهوية العربية لهذا المكان في كل زمان عرّج عليه والتي ترى من خلالها الجولان العربي الوجه والأصل واللسان ويعرّفنا بمن سكنوه وأقاموا به في أحقاب التاريخ وصولاً إلى التاريخ الحاضر ، و كذلك في شبكة المياه التي جعلت في جولاننا من كل شيء حي ويجري الفصل مع جريان الماء في النهر ، والبحيرة والينبوع .

ونستعرض في الفصل الثاني حالة شعب آمن أمسى فأصبح على احتلال غاشم قادته إسرائيل في 5 حزيران 1967 العام الحزين بالنسبة لسورية ، والعرب ، والجولانين ، أنه عام نكسة حزيران العام الذي ودّع فيه الجولانين أراضيهم ، وديارهم ، وذكرياتهم مرغمين نازحين عن أراضيهم دون أي وجه حق شرعي ، أو قانوني ، أو إنساني يبرر احتلال أراضِ الغير بالقوة نازحين إلى الأجزاء الأخرى من الوطن الأم سورية يمسون ويصبحون بحلم العودة ويعلمون أبناءهم درسهم الأول ، الجولان العائدون إليه رغماً عن كل معتدي وآثم . ويستعرض الفصل الثالث

حركة الاستيطان الإسرائيلي في الجولان العربي السوري بعد احتلاله .

ويتابع الأمل طريقه في الفصل الرابع من الباب الأول ، الأمل المتوج بحرب تشرين التحريرية ، التي قاد غمارها الرئيس حافظ الأسد فكانت الجولان مقصد معركة تشرين والتي أسفرت عن تحرير القنيطرة عاصمة الجولان وقيد نفوسه . يختتم الباب الأول فصوله بفصل خامس خاص عن الطمع ، والجشع الإسرائيلي بالمياه العربية ، ومياه الجولان ويكشف لصوصيته في سرقة المياه المتعارضة مع مبادئ القانون الدولي حول المياه وحقوق اقتسامها .

يتضمن الباب الثاني خمسة فصول أيضاً يبدأ الفصل الأول فيه بفاتحة توضّح من زرع إسرائيل في قلب أمتنا العربية ، وتلقي الضوء على من غذّاها ، وسقاها ، وأعطاها وعوداً وعهود في أن تقيم دولتها في أرض الإسراء والمعراج فلسطين العربية التي تحتضن أقصانا الشريف ، ثم لتطال بنهجها العدواني أراضٍ عربية من كل من سورية ، وفلسطين ، والأردن ومصر ، ولبنان تردد في ذلك كل باطل ومزعوم بأن حدودها تبدأ بالفرات وتنتهي بالنيل .

ويكشف لنا الفصل الثاني منه شكل الإيديولوجيا التي تقبع وتسكن في رؤوس بني إسرائيل عبر أحزابهم اللاحزبية ، وحركاتهم المسماة بحركات سلام ، واللاسلمية في آن تلك الإيديولوجيا المبطّنة بشعارات مزيفة مضللة مع إيجاز يبحث في إعلامهم الذي يعتمدون عليه في تزييف الحقائق وتضليلها متجاهلين بأن للتاريخ وقفة ضد الباطل لا معه .

وفي الفصل الثالث تجري عملية بحث من قبل رعاة إسرائيل وربيباتها عن حل لصراع الخمسين عام وأكثر ، في مؤتمر عكس الجدل بين النظرية والممارسة وعكس الجدل بين موقفنا من السلام وموقفهم منه . ويعكس رغبتنا بالسلام في الفصل الرابع من هذا الباب ويبين موقفهم

الكاذب والزائف في أن يسود السلام المنطقة ، وينهي حالـة الـصراع القائمة وباعترافات مؤيديهم ، ومسانديهم في الاحتلال والعدوان .

وفي الفصل الخامس والأخير من الباب الثاني يقصد العرب مدريـد مدريد عاصمة إسبانيا ، الأندلس العربية في حقبة من حقـب التـاريخ العربي والإسلامي المزهر التي استقبلتهم وفي جعبهم ملفات أكثـر مـن خمسين عام من الصراع العربي – الإسرائيلي وبدؤا متعاضدين متلاحمين كجسد واحد ، ثم لا يلبث أشقاء لنا أن يشربوا قهوهم قبـل شـروق الشمس منفردين منعزلين عن أمتهم ، وسورية شقيقتهم ودعمهم الأول وعوضاً عن أن يحلّو قهوهم بقطع السكر التي قد تضفي حـلاوةً علـى صلابة الموقف قطعوا أوصال الأمة عبر اتفاقيات أضاعت الحق والحقوق في أوسلو ، ثم في وادي عربة ، وقبلها في كامب ديفيد .

يتضمن الباب الثالث من كتاب الجولان الأرض الأسيرة أربعة فصول يبدأ الأول فيه بالمباحثات السورية – الإسرائيلية في عهد رابين ويتضمن وديعته المشهورة بشأن الانسحاب الكامل من الجولان العربي الـسوري وخلاصة هذه المرحلة من المباحثات . لتبدأ مرحلة جديـدة في الفـصل الثاني مع بيريز ، ونتنياهو الذين اغتالوا الوديعة ، ويبين فترة قصيرة مـع بيريز وأشواط الدبلوماسية التي راحت أدراج الرياح والتي لم تنجح في أن تجر سورية إلى وضع يحرفها عن ثوابتها التي قبلت بها مدريـد مـع استشهاد بجولة مكوكية للوزير الأمريكي كريـستوفر الـرقم (17) والذي حمل معها وقبلها الكثير الكثير فحمل منا مابدأنا منه وانتهينا عليه ومع نتنياهو وعودة الليكود المتطرف إلى السلطة في إسرائيل ومحاولاتـه الفاشلة في استئناف المفاوضات من جديد ودون شروط مسبقة وبأوهام وتخيلات قادته إلى هاوية السياسيين المظلمة و أبعدته عن مكانه المزعـوم تحت الشمس . لتبدأ من جديد مرحلة جديدة من المباحثات في الفـصل

الثالث مع باراك ، وفي هذه المرحلة حملت سورية ثوابتها إلى طـاولات واشنطن في " شيفردزتاون " و بدأت المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها وديعة رابين ، لكنها لم تسفر عن أي ملموس بل كـشفت مـن جديد عدم جدية إسرائيل في التوصل إلى سلام عادل وشامل في المنطقة فراحت تخوض في الشكل لا في الجوهر والمضمون وبالتالي جمدت عملية السلام إلى أجل غير مسمى . ويبدأ الفصل الرابع والأخير مـن البـاب الثالث مع الرئيس بشار الأسد بعد أن ودعت سورية والعالم العـربي ، وقادة زعماء العالم الرئيس حافظ الأسد رحمه الله إلى مثواه الأخير فبايع الشعب السوري بالإجماع الدكتور بشار الأسد ليتابع المسيرة المـستمرة ووفقاً للثوابت الوطنية التي تحلى بها الرئيس الراحل ليؤكد من جديد بأن الجولان هو أول الأولويات لسورية قيادةً وشـعباً وليؤكـد تمـسكنا ، ورغبتنا بالسلام على إعتباره هدفاً إستراتيجياً لسورية وفـق قـرارات الشرعية الدولية ، وصيغة مؤتمر مدريد الأرض مقابل السلام .

تلك هي الأبواب الثلاث بفصولها المختلفة التي جمعها كتاب الجولان الأرض الأسيرة مع كل الأمل أن يحقق فائدة ، ولو بمعلومة ، أو أجـزاء منها مع اعترافي الأخير بأن الدافع وراء إعداد هذا الكتاب هو حـرارة الشوق ، والحنين المخزون إلى الجولان العربي السوري أرضنا الأسـيرة والعائدة رغم كل أثمٍ ومعتدي .

أحمد افنيخر

الباب الأول

الفصل الأول

الجولان .. تـــاريخ ، وجغـــرافية .

الفصل الثاني

1967 .. احتلال مرتفعات الجولان السورية .

الفصل الثالث

الاستيطان الإسرائيلي في الجولان .

الفصل الرابع

1973 .. الحرب العربية ــ الإسرائيلية الرابعة .

الفصل الخامس

الأطماع الإسرائيلية بمياه الجولان .

الفصل الأول

الجولان .. تاريخ ، وجغرافية

يقع الجولان العربي السوري في الزاوية الجنوبية الغربية من القطر العربي السوري ، وفي الزاوية الشمالية الشرقية من دولة فلسطين ويشغل الزاوية الجنوبية الشرقية من لبنان ، ويتاخم الأردن من الشمال الغربي وينحدر من الشمال إلى الجنوب فـ" بيت جن " ترتفع عن سطح البحر / 1150 / م فيما تهبط القنيطرة إلى / 935 / م بينما يبلغ ارتفاع فيق أخر قضاء الجولان من الجنوب / 330 / م .

فالجولان يقع عند مفترق أربع دول الوطن الأم سورية ، وفلسطين الأردن ، ولبنان وهو يمثل حجر الزاوية بينها من الناحية البشرية والطبيعية ، ويشاركها في تاريخه الجيولوجي وفي مناخه ، وجغرافيته الحيوية والبشرية ، والاقتصادية .

ويتميز الجولان العربي السوري بأصالته ، ووحدته الجغرافية وهذا يتضح في أكثر من دليل :

في الغرب : يفصله نهر الأردن وبحيرة طبرية عن أرض فلسطين المحتلة هذا النهر وهذه البحيرة قد يكون كلاهما في قاع حفرة إنهدامية عميقة يتراوح عمقها بين / 400 / م إلى الشرق من بحيرة الحولة المجففة و / 500 / م إلى الشرق من بحيرة طبرية بموازاة قرية كفر حارب السورية وهي تطل بحافة شديدة الوعورة قلّما تقطعها المسايل وتحززها الأودية

وتواجه أرض فلسطين المحتلة .

في الجنوب : يرسم الحدود نهر اليرموك ويفصل الجولان عن شرق الأردن بدرجة لا تقل عن سابقتها وضوحاً ، و يصل عمقه إلى / 300 / م بالقرب من مصب العلان في اليرموك والأخير يتعمق واديه نحو الغرب باستمرار حتى يبلغ / 400 / م بالقرب من مصب نهر الرقاد في اليرموك و/ 450 / م بالقرب من الحمة الشهيرة بمياهها المعدنية .

في الشمال : يشكل الحرمون جداراً حقيقياً مشرفاً على الجولان ويمر عبره خط الحدود السورية ــ اللبنانية من قمم ترتفع إلى 2269 م ــ 2645 م ــ 2841 م ــ 2683 م وجبل الحرمون ، أو الشيخ لا يشكل مجرد حدود طبيعية في الشمال إنما يلعب دوراً هاماً في الظروف المائية لهذه المنطقة وأحوالها المناخية .

في الشرق : يمتد حوض يتمثل بالنقرة والجيدور يفصل الجولان عن حوران بوضوح ، وإن يكن أقل ارتفاعاً عن الحفر الإنهدامية واليرموك الأمر الذي يبين بوضوح بأن حدود الجولان واضحة ومتميزة .(١)

تبلغ مساحة الجولان العربي السوري / 1860 / كم٢ أي ما يقارب 1% من المساحة الإجمالية للجمهورية العربية السورية ، وبلغ عدد سكان الجولان / 153000 / نسمة بالعام 1967 يعيشون في / 315 / مدينة ، وقرية ، ومزرعة ، وكان تجمّعهم في ثلاث مراكز رئيسية :

ــ **الأول** : في منطقة القنيطرة .

ــ **الثاني** : على أقدام جبل الشيخ وشمال الجولان .

ــ **الثالث** : في منطقة فيق في الجنوب من الجولان .

وقد بلغ تعدادهم ما يقارب من / 500000 / نسمة في مطلع عام 2000 .

توزّع سكان الجولان وفق ما شملته محافظة القنيطرة ، والتي أحدثت

بتاريخ 31 / 8 / 1964 كإحدى نتائج التطـور السياسي والإداري للقطر العربي السوري ، والتي تشكلت من منطقتين إداريتين :

الأولى : منطقة القنيطرة والتي كانت تتبع لمحافظة دمشق وقد ضمت منطقة المركز القنيطرة ثلاث نواحٍ هي : ناحية الخشنية _ ناحية مسعدة _ ناحية خان أرنبة .

١_ منطقة المركز : القنيطرة ويتبع لها : أحمدية _ بئر عجم _ ثلجيات _ جرابة _ صيرة _ الخرفان _ جليبنة _ دريجات _ الحصن _ الغسانية _ الحميدية _ خويخة _ القادرية _ دبورة _ دردارة _ كفر نفاخ _ دلهمية _ دلوة _ المنصورة _ سنبلة _ دير سراس _ نخيلة _ عوينات شمالية _ جنوبية _ رزانية _ جنبية _ نعران _ سحيتا _ صنابر _ عين حور _ الفاخورة _ سنديانة _ شقيف _ الصمدانية _ العامرة _ العدنانية _ عسلية ومجامع _ علمين _ عين السمسم _ دير الراهب _ عين زيوان _ عين عيشة _ عيون الحجل _ باب الهوى _ كريز الطويل

١_١ _ ناحية الخشنية ويتبع لها : أم الدنانير _ الأصبح _ بريقة _ بطمية _ جويزة _ رزانية _ الرفيد _ سلوقية _ شبة _ طيبة _ أم خشبة _ قناعية _ ظاهرية _ عامودية_ عين وردة _ قصيبة _ الفحام _ الفرج _ فزارة _ قصرين _ البيرة _ اليعربية _كودنة _ قصبية _قرقس _ عين التينة _ عين فريخة _ الدواية الكبرى _ والصغرى _ غدير البستان _ الحيران _ المعلقة _ سويسة _ رويحنة _ عين العبد _ الهجة _ عين الباشا _ كوم الباشا _ عين الزيوان _ أبو غارة .

١_٢_ ناحية مسعدة ويتبع لها : مسعدة _ البارجيات _ بانياس _ بقعاتا _ جباتا الزيت _ جب الميس _ حسينية التركمان _ حفر _ درباشية _ راوية _ زعرتا _ زعورة _ سكيك _ سحافة _ عباسية _ عين التينة _ عين فيت _ عين قنية _ عين ميمون _ الغجر _ الفرن _

قرحتا _ حيرة ذياب _ عين الحمرا _ كريز الوادي _ القلع _ مغير _ واسط _ مويسة _ مجدل شمس .

١_٣_ ناحية خان أرنبة ويتبع لها : خان أرنبة _ الكوم _ جباتا الخشب _ أوفانيا _ طرنجة _ حضر _ الحلس _ مسحرة _ جبا _ أم باطنة _ أيوبة _ الصمدانية الشرقية _ العجرف _ المشيرفة _ العتم _ عين النورية _ نبع الفوار _ الحرية _ المشقق _ نبع الصخر _ ممتنة _ رويحنة _ المربعات _ المنيطحات _ مجدولية .

الثانية : منطقة فيق وقبل ذكر فيق وما يتبع لها من قرى ، ومزارع تجدر الإشارة إلى أن فيق ذكرت في المراجع القديمة وبالتحديد في معجم البلدان لياقوت الحموي حيث أشار هذا المعجم إلى قول الشاعر :

وقطعت من عافي الصُّوى متحرفاً مابين هيت إلى مخارم فيق

وتضم منطقة فيق مزارع وقرى هي : فيق _ كفرحارب _ عيون _ مزرعة عزالدين _ كفرالما _ العال _ سكوفية _ أم القناطر _ حوتية _ أبو خيط _ عديسة _ الأربعين _ الفاخوري _ قصيبة _ البجورية _ خراب نجيل _ البصة _ البغالة _ بلوط _ جديا _ الجرنية _ جرماية _ قنيطرة الخراب – الجوخدار – جبين – الحمة السورية – المخيبي – حيتل _ بورسعيد _ خسفين _ صفيرة _ عيون حمود _ لاوية _ عيون حديد _ أم الزيتون _ وادي السمك _ عمرة الفريج _ ناب _ الياقوصة _ جب الياقوصة _ النقيب العربية _ مركز البطيحة _ ناحية البطيحة _ المحجار _ الحاصل الشمالية _ أبو دركل _ تل عامر _ تل الأعور _ الطواحين _ الرفيد _ الحسينية _ خوخة _ الدردارة _ الدوكا _ دير عزيز _ شكوم _ شقيف _ قطوع الشيخ علي _ عين عبدالله _ المساكية _ قراعنة _ المسعدية _ الكرسي _ كنف _ النقيب السورية _ دبوسيا

_ صفوريا _ ساعد وبطاح _ الشعبانية _ شكوم _ صيدا _ زيتا _ الصباحية .(٢)

□ **وبالنسبة لتسميته بالجولان :**

فالجولان السوري عربيٌّ أصيل إذ ورد اللفظ في مادة جول فقد ذكر أبن منظور أن الأجول هو جبل ، ومثله الجول ، وجولي والجولان .

ومنذ العصر الجاهلي ورد اسمه في أشعار العرب سواءٌ مرتبط بدمشق أو دونها ، ومن ذلك قول الراعي النميري :

روين ببحرٍ من أمية دونه — دمشقٌ وأنهارٌ لهن عجيج

كذا حارث الجولان يبرق دونه — دساكر في أطرافهن بروج

وتبقى عروبة الجولان في المكانة التي لا يرقى إليها شك أو ريب على تقلب الأحوال والأزمنة ، وقد ورد الجولان في تراثنا في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي فقال الشاعر جبيهاء الأشجعي من قصيدة في وصف عنزة :

رعت عشب الجولان ثم تصيّفت — وضيعة جلسٍ فهي بدّاء راجح

وقال الأخطل :

فأين بنا غداة دنون منهم — رهن إليك بالجولان صور

وقال أبن منظور : جولان والجولان جبل بالشام .

وقال الأزهري : الجولان قرية بالشام " التهذيب " .

وقال أبن سيده : الجولان جبل بالشام .

ويرد أسم الجولان في بعض المصادر بإسم حارث الجولان وهو المذكور في قول النابغة الذبياني :

بكى حارث الجولان من فقد ربه — وحوران منه موحش متضائل

و لم يشير المؤرخون إلى سبب التسمية بحارث الجـولان لكـن مـن المرجح أنها كانت نسبة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهذا يعني أن الجولان كان موطناً للغساسنة الذين أقاموا عاصمتهم في بـصرى وقد ورد ذكر حارث الجولان في شعر حسان بن ثابت الأنصاري في مدح جبلة بن الأيهم الغساني فقال :

لمن الدار أوحـشت بمعـان بين أعلى اليـرموك فالخمّـان

تلك دار العزيـز بعـد أنـيسٍ وحلـولٍ عظيمـة الأركـان

ثكلت أمهم وقـد ثكلتهـم يوم حلوا بـ حارث الجـولان

وفي قول النابغة إشارة واضحة للحارث الغساني :

حلف يميناً غير ذي مثنويـة و لا علم إلا حسن ظنٍ بصاحب

لئن كان للقبرين قبر بجلـق وقبر بصيداء التي عنـد حـارب

وللحارث الجفني سيد قومـه ليلتمس بالجيـش داء المحـارب

وصيداء وحارب موضعان بعينهما في الجولان إلى الآن .(٣)

◆ وحسب مصدر أخر فيما يتعلق بتسميتها بالجولان ، فلأنها منـذ القدم معروفة بأنها منطقة مراع وعشب أخضر ، وكانـت ترسـل إلى الجولان قطعان الغنم والماعز والبقر فيجول بها الرعيان لتحـصل علـى الكلأ والماء الذي يكثر فيها بشكل ينابيع وجداول وأنهار وبحيرات .(٤)

◆ ومن المصادر أيضاً فإن الجولان سمي بهذا الإسم لكثرة جـولان الخيول ، والجيوش العربية والرومانية البيزنطية في معارك اليرمـوك الـتي

وقعت على أرض الجولان بقيادة خالد بن الوليد .

والجولان عربي أصيل في صفحات التاريخ فلا جدل إذاً على الثابت والأكيد في غلبة الأصل العربي على الاستيطان البشري في الجولان وقد دلت الأبحاث الحديثة على وجود ممالك آرامية في وادي الليطاني والبقاع " مملكة آرم صوبة " التي أمتد نفوذها إلى أعالي الجولان ، وكانت " مملكة بيت رحوب " تمتد على مجرى الليطاني الأوسط و" مملكة بيت معكة " تسيطر على منطقة بانياس ، وإلى الجنوب الشرقي منها كانت تقوم " مملكة جيشور " التي تمتد ما بين اليرموك ودمشق .

وفي العهد القديم مواضع عدة تشير إلى الحروب المستمرة بين الآراميين وبني إسرائيل انطلاقاً من الجولان وعلى أرضه ، وقد ورد اسم فيق مرات كثيرة كمسرح لهذه المعارك ، وعندما سقطت مملكة دمشق الآرامية بيد الآشوريين عام 732 ق . م أصبحت الجولان من ممتلكات الإمبراطورية الآشورية وبعد ذلك الإمبراطورية الكلدانية ، وعند بداية الحكم الروماني لسورية وفلسطين في القرن الأول الميلادي كان الوجود العربي في سورية ومنها منطقة الجولان وطيداً .

وعندما قامت مملكة الغساسنة في بصرى من القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي كانت الجولان تتصل بهذه المملكة العربية ولعل الاسم الذي يطلق على الجولان وهو حارث الجولان مستمداً من أسماء الملوك الغساسنة الذين تعدد فيهم من يحمل أسم الحارث .(٥)

وعلى أرض الجولان حقق العرب المسلمون نصراً تاريخياً على الروم في معركة اليرموك سنة 636 وعرفت بـ " يوم الياقوصة " وعلى أرضه أريق من أجل سورية واستقلالها دماءً كثيرة ، وعلى مر التاريخ كان الجولان درع الدفاع الأول عن دمشق فلعبت قلعة بانياس أثناء الحروب الصليبية دور الدرع الواقي لدمشق العريقة التي لم تسقط بيد الصليبيين

إلا أثناء الحرب الطائفية ضد الإسماعيليين 1127 - 1132 وكانوا حماة القلعة آنذاك ، وفي مطلع القرن الثاني عشر كانت طبرية مدينة من المدن الهامة في الجولان والممتدة إلى منطقة الزوّية والتي قد تعرضت لاحتلال الصليبيين إلى أن حررها صلاح الدين في حطين المعركة الشهيرة .

وفي الجولان وعلى أرضه باءت محاولات المستعمر الفرنسي بالفشل عندما عمدوا إلى تحريك الشراكسة في الجولان لمضايقة الدروز في جبل الحرمون ، وحتى في جبل العرب الذي أعلن الثورة والتي أعلنت خسارة فرنسا واستقلال سورية عنها في 17 نيسان / أبريل من العام 1946 بعد ثورات دامية تجمعت باسم الحرب الوطنية التحريرية وكما يسميها المؤرخ الروسي " لوتسكي " في كتابه الذي يحمل اسم الحرب الوطنية التحريرية . وكان من تلك الثورات ما أمتد إلى الجولان فتجلت المقاومة في قرى الجولان وأستشهد فيها أبطال ومجاهدين كثر ، كان منهم أحمد مريود أحد أبطال ثورة العرقوب سنة 1919 .... وآخرون .

ومن شواهد المقاومة في الجولان السوري قيام مجموعة من الثوار بالهجوم على موكب الجنرال " غورو " وكان يرافقه حقي العظم حاكم دمشق عندما كان الموكب في طريقه لزيارة القنيطرة فقتل المرافق والمترجم وأصيب حقي العظم إصابة غير قاتلة .

ويقلب التاريخ صفحاته الخاصة بالجولان ليقف عند الخامس من حزيران العام 1967 حيث العدوان الآثم ، و احتلال مرتفعات الجولان من قبل إسرائيل والذي سنأتي على شرح شبه مفصل له لكنه وافٍ في فصل لاحق ، ولكن وعبر النظرة التاريخية فقد وقع تحت الاحتلال الصهيوني ما مساحته / 1150 / كم٢ / 150 / بلدة و/ 90 / مزرعة وقاموا بتشريد أكثر من / 140000 / نسمة وإرغامهم على مغادرة قراهم نازحين إلى قرى ومدن دمشق ، ودرعا ، وحمص مخلفين وراءهم

منازلهم وأراضيهم وذكرياتهم . وقد روى السفير الأمريكي السابق في المملكة العربية السعودية " اتيكن " قصة احتلال الجولان السوري وفضح النوايا الصهيونية المبيتة والمعتمدة على تضليل الرأي العام وخداعه بتصوير إسرائيل حملاً بين ذئاب فقال : أشاعت إسرائيل دوماً بأنها بلد مسالم بين دول عربية تحاصرها وتريد الانقضاض عليها ورمي مواطنيها في البحر . وتظهر الوثائق ونتائج التحقيق التي كانت تجري إثر قيام المنازعات العسكرية بين إسرائيل وجيرانها سنة 1967 إن إسرائيل كانت هي المعتدية دوماً ، وفي عام 1967 وإثر الاستفزازت العسكرية اجتاح المنطقة توتراً شديداً فلجأ الرئيس جمال عبد الناصر إلى تحريك قواته في سيناء وتحدث عن إغلاق مضائق تيران ، ولكن لم يفعل ، ويتابع السفير ايتكن سرعان ما شنت هجومها فدمرت بصورة مفاجئة السلاح الجوي المصري كله تقريباً ولأن الأردن كان يرتبط بمعاهدة دفاع مشترك مع مصر آنذاك فقد أضطر لدخول الحرب وهذا ما كانت تطمح إليه إسرائيل حيث تمكنت بعد دخول الأردن الحرب من التوغل في ما تبقى من فلسطين وجرى احتلال القدس ، وسيناء كلها ، والضفة الغربية . لكن سورية ظلت خارج الحرب ولم تكن إسرائيل لتتركها وشأنها فهي تضمر للسوريين حقداً دفيناً لأنهم مناضلون أشداء يدافعون عن القومية العربية إضافة إلى أنها تنظر إلى الجولان بعين الجشع فهي تطل على الجليل ويتابع السفير ساخراً لقد أوهموا العالم بأن وحوش سورية تختبئ في الجولان وتهدد حياة المستوطنين الآمنين في الجليل .(٦)

بعد الخامس من حزيران 1967 وبعد احتلال أراضي الغير بالقوة من قبل عدو غاشم يعشق التوسع والعدوان ، ويحارب المنطق ، ويخالف الأعراف ، وينتهك القوانين الدولية وفوق هذا كله يدّعي بأنه يسعى إلى تحقيق السلام !!

بعد ذلك التاريخ دخل الصراع العربي – الإسرائيلي مرحلة جديدة والسوري بوجه خاص بعد احتلال العدو الصهيوني هضبة الجولان العربية السورية أول الأولويات لسورية قيادةً وشعباً ، وتجلت تلك المرحلة وتجسّدت في حرب تشرين التحريرية التي انطلقت بقيادة الرئيس الخالد حافظ الأسد عام 1973 والذي تمخض عنها تحرير القنيطرة ورفع العلم السوري فوقها في 26 حزيران / يونيو 1974 منطلقاً لتحرير كامل الجولان السوري ، والأراضي العربية المحتلة ، تلك الحرب التي شكّلت منعطفاً تاريخياً في إطار المواجهة العربية للاستعمار والصهيونية حيث بينت هذه الحرب أهمية التضامن العربي ، وأكدت قدرة الإنسان العربي وجدارته في التعامل مع وسائط الصراع المتطورة ووجهت ضربة قوية لإسرائيل كبدتها خسائر مادية وبشرية ، وأدت بالتالي إلى انهيار أسطورة الجيش الذي لا يقهر وبينت بأن التفوق الإسرائيلي حالة طارئة .

- **سكان الجولان** : يوغل الاستيطان البشري في الجولان إلى عصور ما قبل التاريخ وتدل على ذلك المكتشفات الأثرية في هذه المنطقة الهامة والتي تدل على غلبة الأصل العربي على هذا الاستيطان ، فقد سكنه الأموريون ، والآراميون ثم سيطر عليه الأنباط ، والغساسنة العرب ثم فتحها العرب المسلمون ودارت على أرضه أعظم المعارك كمعركة اليرموك التي دارت رحاها قرب قرية الياقوصة سنة 636 م .

وقد دلت الآثار على مواقع تاريخية تغوص في عمق التاريخ يستدل منها على أهمية الجولان في تاريخنا العربي الإسلامي .

ومعظم سكان الجولان ينحدرون من أصول عربية تتصل جذورهم بعمق الاستيطان العربي له . وإلى جانب العرب عاش في الجولان الشراكسة وهم من سكان شمال القوقاز قدموا إلى الجولان في أواسط

النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وسكنوا مدينة القنيطرة ــ المنصورة ــ عين زيوان ــ العدنانية " الصرمان " ــ الجويزة ــ الخشنية بئر عجم ــ بريقة .(٧) وقد شكل الشراكسة نسبة من سكان الجولان وصلت إلى 10% في العام 1967 .

وإلى جانب العرب في الجولان عاش أيضاً التركمان وهم من الطورانيين وقدموا إلى الجولان من أواسط أسيه على دفعتين :

ــ **الأولى** : في أوائل القرن السابع عشر وسكنوا قرى كفر نفاخ ــ صنابية ــ المغير ــ حفر ــ عين السمسم ــ رزانية ــ القادرية ــ العليقة ــ الأحمدية .

ــ **الثانية** : وهم اليورك وقدموا إلى الجولان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وسكنوا بعض القرى بين القرى الشركسية ، ومن أهم قراهم عين عيشة . وقد شكل التركمان نسبة من سكان الجولان وصلت إلى 6 % في عام 1967 .

والشراكسة والتركمان يدينون بالدين الإسلامي .(٨) وتجدر الإشارة إلى أن الأتراك ، والتركمان هم من الطورانيين ولا توجد فروق بين المجموعتين يمكن اعتبارها كبيرة إذ أن التركمان هم قبائل عديدة متفرعة عن الأتراك .

إن حوالي 97 % من سكان الجولان يدينون بالدين الإسلامي عرب ــ شركس ــ تركمان . بينما 3 % من سكان الجولان يدينون بالدين المسيحي والذين تركز سكنهم في مدينة القنيطرة ــ خسفين ــ فيق ــ جباتا الزيت ــ طرنجة ــ عين قنية ، وقد عاش هؤلاء السكان في حالة أخوة ووئام تجمعهم وحدة الهدف ، والمصير ، والتفاني في خدمة الوطن وإعلاء شأنه .(٩)

إن العرب من سكان الجولان هم سكانه الأصليون ، وهم من قبائل

غسان ، والأزد ومنهم من قبيلة لخم من اليمن تسرّبوا من شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بقرون ، أما الذين ينتمون منهم إلى قبيلة طي فقد استوطنوا الجولان بعد الإسلام ، وقد حافظ هؤلاء وهم الأغلبية العظمى على لغة عربية صافية ليس فيها أي تأثير غريب خاصةً أن غير العرب الذين تسربوا فيما بعد إلى الجولان بفعل عوامل سياسية ، وفي فترات مختلفة مالوا إلى حياة منعزلة في البداية لكن العلاقات المشتركة وتفاعلات التموضع ، والشروط الطبيعية ، والتعريب السريع والعميق ذوّبت كثيراً من التباينات لصالح الأكثرية العربية سواء في اللغة ، أو في اللباس ، أو في العادات والتقاليد ، لكن العامل الحاسم الذي لعب الدور الأهم في تحويل الموزاييك العرقي في الجولان إلى موزاييك اجتماعي هو ظهور الحركات الوطنية لتوحيد الجهود باتجاه واحد وبالتالي تحسين العلاقات بين مختلف فئات الشعب السوري ، وفي الجولان بشكل خاص .(١٠)

□ **أشتهر الجولان بتربية الماشية** كأحد أوجه النشاط الاقتصادي في الهضبة (كونه يمتلك أضخم غطاء عشبي في سورية) وبخاصة الأبقار والجواميس ، والماعز ، والإبل ، والدواجن وقبل الاحتلال كان الجولانيين يمتلكون ما هو مبين في الجدول التالي :

147000	رأس غنم
8000	رأس ماعز
17000	بقرة
7000	ثور
1000	حصان
122000	دواجن

ووصلت المنتجات الحيوانية قبل الاحتلال إلى كميات مرتفعة فقدرت منتجات الحليب / 16000 / طن ، والسمن / 286 / طن والجبن / 275 / طن ، والزبدة / 89 / طن ، والعسل / 17 / طن بالإضافة إلى / 1045000 / بيضة سنوياً . هذا فضلاً عن النشاط الرئيس للسكان وهو الزراعة والذي كان بمثابة متمم للنشاط السابق .

▫ **أمّا بالنسبة للمعادن** : فإن التنقيب عن المعادن في الجولان حديث العهد كان قبيل الاحتلال وذلك بسبب وضع المنطقة العسكري وعموماً فقد أكتشف الرصاص في كتلة جبل الشيخ وقرية جباتا الزيت والنحاس في حوضة عرنة ، والرمل الكوارتزي في جبل الشيخ والمارن وهو موجود بكميات كبيرة جداً في جبل الشيخ وهو يشكل أساس صناعة الأسمنت ، وأخيراً تعد المياه الكبريتية من الثروات المعدنية المهمة في منطقة الحمة بشكل خاص .(١١)

▫ **بالنسبة لآثار الجولان** فهي كثيرة أهمها :

المنطقة الشمالية : آثار قلعة الصبية ـــ آثار مدينة بانياس ـــ آثار سكيك ـــ آثار باب الهوى .

المنطقة الوسطى : آثار دبورة ـــ آثار الرمثانية ـــ آثار اليعربية ـــ آثار أم الدنانير ـــ آثار دير الراهب ـــ آثار قصرين ـــ آثار دير مفضل ـــ آثار دير قروح ـــ آثار سويها ـــ آثار شبة .

المنطقة الجنوبية : آثار الحمة ـــ آثار الكرسي ـــ آثار جملة ـــ آثار كنف ـــ آثار رجم الهاوي ـــ آثار لاوية ـــ آثار قلعة فيق ـــ آثار سكوفية ـــ آثار الدير عزيز ـــ آثار زيتا ـــ آثار خسفين .

تجدر الإشارة إلى أن آثار الكرسي تتبع قرية الكرسي ، وهي من قرى البطيحة أقام فيها السيد المسيح عليه السلام قبل عبوره نهر الأردن إلى فلسطين ، والقرية تشتهر بزراعة الحمضيات والموز .

▫ مناخ الجولان :

يتميز مناخ الجولان بطابع خاص يجمع بين نمطين هما المناخ المتوسطي الرطب ، والمناخ الجبلي الحار في الصيف ، والشديد البرودة في الشتاء وإن وقوعه ضمن درجتي عرض (32 و 33) شمالاً يجعله في المنطقة المعتدلة والشتاء يكون في الجولان أبرد منه في معظم مناطق سورية .

ويعتبر الجولان من المناطق السورية المطيرة والمثلجة وأمطار الجولان محددة بين شهري تشرين الأول وأيّار ، وتساقط الثلوج مرتبط بالارتفاعات حيث الشمال المرتفع يتعرض لتساقطات ثلجية تتكرر عدة مرات خلال العام بينما الجنوب لا يحظى بالتساقط الثلجي نتيجة لقلة ارتفاعه ، وأمطار الجولان غزيرة وشديدة تبدأ في أواخر الصيف وتستمر إلى أواخر الربيع ووسطي هذه الأمطار من / 350 / مم سنوياً إلى / 650 / مم سنوياً والأيام الماطرة تبلغ / 70 / يوماً وتقدر كمية الأمطار التي تهطل في الجولان بحوالي / 1.2 /مليار متر مكعب في العام ، وتعادل 1 / 42 من كمية الأمطار التي تهطل في سورية .(١٢)

وتضم الشبكة المائية في الجولان ثلاثة محاور رئيسية للمياه تسهم في رسم الحدود الطبيعية لهذا الإقليم وهي أنهار الأردن ، و اليرموك والرقاد ويمثل الأول شرياناً رئيسياً ، أما الآخران فهما مجرد روافد مباشرة أو غير مباشرة للأول ، وهذه الأنهار الثلاث تقوم بجمع المياه في هذه المنطقة البركانية من سورية الجنوبية وصرفها .

ـــ **نهر الأردن** : إذا كان نهر الأردن ينتمي إلى الأخدود الأفريقي السوري من حيث المجرى والمصب فهو جولاني من حيث المولد والنشأة فمن ينابيع الحرمون الغزيرة تتغذى روافده الثلاثة المعروفة باسم أنهار (بانياس ـــ اللداني ـــ الحاصباني) وجميع هذه الروافد تقع ضمن الأراضي السورية وفي أرض الجولان بالذات حتى عام 1928 حينما

عدّلت سلطة الانتداب الفرنسية الحدود السورية اللبنانية لضم الينـــابيع الرئيسية لنهر الأردن إلى دولة لبنان الكبير آنذاك .

وفضلاً عن ذلك فإن الروافد اليسرى لنـــهر الأردن القادمـــة مـــن الجولان وحوران ولا سيما اليرموك تحمل إليه كميات هامة نسبياً مـــن المياه فاليرموك وحده يزود بقدر من المياه مساوٍ لما ينـــصرف في مجـــراه الخاص . وهنالك عدد لا يحصى من الينابيع التي تتفجـــر عنـــد الحافـــة الشرقية لمنخفض الحولة ، وتشارك في تغذية شبكة كثيفة مـــن المجـــاري المائية القصيرة التي تتجمع مع بعضها وترفد نهر الأردن .

إن نهر بانياس بعد أن يجمع مياهه من وادي القانية ، وينابيع بانيـــاس المتعددة يتجه نحو الجنوب الغربي ليقذف بمياهـــه في مـــنخفض الحولـــة بتصريف يبلغ / 20 / م٣ / ثا وبعد أن يقطع مسافة / 10 /كم تقريبـــاً يلتقي بنهر اللداني بفروعه الأربعة مشكلاً معه نهر الأردن وفي مكان غير بعيد عن هذا الملتقى يرفد الأردن عن يمينه نهر القاروني ، أما الحاصـــباني وهو أطول الروافد طولاً فيلتقي بمجرى الأردن إلى الجنوب من الملتقـــى التالي بحوالي / 600 / م ولا يستمر اجتماع هذه الأنهار طويلاً إذ يتفرع مجرى النهر إلى فرعين بالقرب من قرية الصالحية ويأخذ الفرع الغربي منذ البداية أسم الأردن بينما يعرف الفرع الأخر بأسم نهر التورا . وهـــذان الفرعان الأخيران يلتقيان مرة أخرى في أرض الحولة المجففة ، وفي هـــذه المنطقة يتجه إلى مجرى النهر واديان ، أحدهما من الغرب وهو البراغيـــت والأخر من الشرق وهو القالي ، وكلاهما يوازي الأردن ثم يرفده قبيـــل المنطقة التي كانت تشغلها بحيرة الحولة والتي جرى تجفيفها على أيـــدي الصهاينة ولا يلبث الأردن أن يغير طبيعته الهادئة بعد بضعة كيلو مترات من هذه المنطقة واعتباراً من جسر بنات يعقوب يهوي في خوانق عميقة محفورة في اللابات البازلتية يحمل بعدها أسم الأردن ، أو الشريعة .[١٣]

وتجاوز أهمية نهر الأردن التاريخيـــة أهمية أي نهر أخر في العالم فقـــد كان حوض الأردن أول منطقة أقام فيها الإنسان في الفترة السابقة على التاريخ ، كما أن مدن الأردن القديمة مثل " أريحا " كان أول مكـــان في العالم بنى فيه الإنسان المساكن . ويتمتع نهر الأردن بأهمية دينية كـــبيرة تشبه أهمية نهر النيل والهندوس فقد آمن الناس على ضفافه في العـــصرين الحجري والمعدني بحياة أخرى بعد الموت ، كما أن انتـــشار العبـــادات وتطورها بحوض الأردن هو أول خطوة مهـــدت إلى ظهـــور الأديـــان السماوية وهي اليهودية ، والمسيحية ، والإسلامية . وتتلخص أهمية النهر من ناحية أخرى في أن مورد مياه الأردن ذو أهمية كبيرة للتنمية طويلـــة المدى ، وذلك بتخزين مياه الفيضان في الشتاء لاستخدامها في التنميـــة الزراعية والصناعية في شهور الصيف ، كما أن المزايا الطبيعية لنظام مياه نهر الأردن يجعل منه مكاناً مناسباً لتوليد الطاقة ، ومن المؤكد أن رافدي اليرموك والحاصباني من أنسب الأماكن لتوليدها .(١٤)

ـــ **نهر اليرموك** : ينبع نهر اليرموك من بحيرة البغا القريبة من مزيريب غرب مدينة درعا ، وهذه البحيرة كانت إحدى النقاط الهامـــة لتجمـــع حجاج مكة . يصرف نهر اليرموك مياه الجزء الأكبر من المناطق البركانية في سورية الجنوبية ، ويجمع نهر اليرموك مياهه بواسطة الروافد الـــسورية والأردنية العديدة ، ويهمنا منها روافد الضفة اليمنى هنا وأهمها نهر الهرير ونهر الرقاد ، الأول يحمل إلى اليرموك مياه حوران والسفح الغربي لكتلة جبل الدروز ، والآخر يحمل إليه مياه السفح الشرقي لجبـــال الجـــولان ويمثل نهر العلان " وادي العلق شمالاً " رافداً ثالثاً لليرموك ويجري موازياً للرقاد وفي منخفضه بالذات .

ينطلق اليرموك أولاً من وادي مزيريب الذي يـــمثل رأس النـــهر ولكن شبكة المياه التي تغذي هذا الجزء من النهر ضعيفة كما هي الحـــال

في جميع الروافد التي تجري فيها المياه بصورة دائمة ، ومثال ذلـــك نهـــر الهرير الذي يبلغ تصريفه / 0.306 / م٣ / ثا عنـــد طاحونـــة الـــدلي واعتباراً من غرب المقارن يصبح اليرموك نهراً جولانياً ، وعلى الرغم من ضعف تصريفه فأن مياهه تجري في انتظام حتى في الفصل الجاف ويظهر الخط البياني لتصريف اليرموك عند وادي خالد بانتظامه الكبير وقت الحد الأدنى من التصريف مدى سعة الشبكة المائية الباطنية التي تغـــذي هـــذه الينابيع ، ومن جهة أخرى فإن الفيضانات الشتوية المفاجئة تثبت بـــأن المناطق البازلتية ليست منفذة بدرجة كبيرة ، وأن حوض التصريف المائي لليرموك يمتد على مساحة واسعة وهذا يفسر التـــشابه بـــين تـــصريف اليرموك مع نهر الأردن تقريباً حتى عند سافلة النهر قرب بحـــيرة طبريـــة فاليرموك يحمل إلى الأردن ما يقرب من / 480 / م م٣ من الماء كل عام أي بمقدار لا يقل كثيراً عما يخرج به الأردن نفسه مـــن بحـــيرة طبريـــة / 540 / م م٣ ويعكس التصريف النهري لليرمـــوك النظـــام الفـــصلي للأمطار فالفرق كبير بين تصريفه في الصيف والشتاء ، إذ يزيد تـــصريفه الشتوي عن 100 م٣ / ثا أو ما يعادل عشرة أمثال متوسط تـــصريفه العام ، أو عشرين مثلاً من تصريفه في الصيف .

ـــ **نهر الرقّاد** : لا تمثل عالية هذا النهر أكثر من منخفض واسع قليل العمق يعمل على تصريف مياه الأمطار في فصل الشتاء وميـــاه الثلـــوج الذائبة القادمة من الحرمون في مطلع الربيع باتجاه الجنـــوب وفي الوقـــت الحالي لا تمثل المجاري العليا للرقاد سوى وادي سيلي حقيقي يمتد حوض تجمعه بين خان أرنبة ، والعفانية ، وجباتا الخشب ، ومسعدة ، وبقعاتـــا وتتجمع مياه هذا الحوض في مجرى محدد إلى حد مـــا إلى الغـــرب مـــن الأحمدية ويجري باتجاه شمالي ـــ جنوبي وفي أعلىً قرية الرقاديـــة يأخـــذ المجرى شكل واسع ومنخفض يتراوح عرضه من (3 – 4) كيلومترات

ويتحول بعد فراغه من مياه الأمطار ومياه الثلوج الذائبة إلى مجموعة من المناقع المنعزلة المتفرقة على طول مجراه ، وهذه المناقع تلعب دوراً هاماً للرعاة الذين يجدون فيها موارد مائية طبيعية من أجل حيواناتهم .

وحتى أعالي قرية غدير البستان يكون نهر الرقّاد ، والعلق (عالية نهر العلان) متماثلين . واعتباراً من هذه القرية ينحرف الرقّاد نحو الجنوب الغربي نتيجة أسره من قبل وادي التيم ، وتصبح مياهه إعتباراً من هذه القرية أيضاً دائمة الجريان لكنها ضعيفة التصريف .

وباتجاه الجنوب الغربي عن جسر الرقاد الجديد تتغير خصائص الرقاد إذ يعتري مجراه انقطاع مفاجئ ينتج عنه سقوط المياه من ارتفاع يزيد عن 60 متراً ، واعتباراً من هذا المسقط المائي الكبير الذي يغير عنده الرقاد اتجاهه ، واسمه ، ومظهره ويحمل أسم وادي التيم ، يأخذ الاتجاه الشمالي الشرقي ـ الجنوبي الغربي مشكلاً زاوية ، أو كوعاً مع المجرى المائي القديم ، وهذا يعني حادثة أسر نهري في الواقع جاءت نتيجة الهبوط عن مستوى القاعدة بعد أن كان وادي التيم رافداً ثانوياً لليرموك ومستقلاً عن الرقاد .

ـ **بحيرة مسعدة** : تعتبر بحيرة مسعدة البحيرة الوحيدة الواقعة بكاملها ضمن محافظة القنيطرة ، وهي تشكل موضع فوهة بركانية قديمة وبالتالي فهي نوع من البحيرات البركانية ويبلغ طولها / 850 / متراً واتساعها / 350 / متراً وبالتالي لا تغطي سوى مساحة / 5 / هيكتارات ، وقد كتب المهندس " عمري " تقريراً عن طبيعة مياه البحيرة ومصادرها وأوضح فيه إن المياه في حالتها الطبيعية ليست صالحة للشرب مطلقاً وإن المصادر التي تزود البحيرة ضعيفة . والواقع أن بركة مسعدة لا تغذيها سوى ينابيع صغيرة ومياهها في معظمها من الأمطار وذائب الثلوج المجاورة ، ومنسوبها خاضع لتغيرات فصلية كبيرة .[١٥]

ــ **بحيرة طبرية** : تشكل بحيرة طبرية الحد المشترك بين الجولان وفلسطين ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب / 21 / كم وعرضها من الشرق إلى الغرب / 12 / كم بمساحة إجمالية حوالي / 144 / كم٢ ويتراوح عمقها بين / 42 / و / 48 / م في وسط البحيرة ، كما يبلغ متوسط منسوبها / 210 / م تحت سطح البحر ومياهها عذبة ، ويخترقها نهر الأردن " الشريعة " من الشمال إلى الجنوب .[١٦]

وحسب مصدر أخر فإن مساحة البحيرة / 165 /كم٢ الطول / 23 /كم ، وأعظم عرض لها / 14 /كم يتدرج سطح المياه فيها من / 209 / إلى / 214 / م دون سطح البحر ، والطاقة التخزينية للبحيرة / 3000 / مليون م٣ ويبلغ الفائض المائي السنوي / 490 / مليون م٣. موارد البحيرة / 65 / مليون م٣ من الأمطار / 560 / مليون م٣ من نهر الأردن ، / 135 / مليون م٣ من مجاري مائية أخرى .

ويحيط ببحيرة طبرية طبقة من الأملاح تجعل عملية الملوحة في المياه مستمرة ، وأحياناً تفوق تدفق المياه العذبة إلى البحيرة لأنه كلما أخذت مياه من البحيرة إزدادت نسبة ملوحة الماء بحيث يتعذر أخذ كميات كبيرة من مياه البحيرة بدون تعريض مستقبل مخزون المياه فيها لخطر الملوحة المتزايدة وتحولها إلى مياه غير صالحة للشرب إلا إذا زيدت كمية المياه العذبة التي تصب فيها .[١٧]

ــ **الينابيع** : تشتهر الجولان بكثرة الينابيع التي تغذي الأنهر الجولانية وتسمى هذه الينابيع بأسماء الوديان التي تسيل مياهها فيها ، وبعض هذه الينابيع ينبع في الشمال وبعضها الأخر في الجنوب ، وتتميز ينابيع الشمال بانحدارها وقصرها ومنها نبع وادي حلاوة ــ نبع عين التينة ــ نبع وادي دبورة .

أمّا ينابيع الوديان في الجنوب فتتصف بطولها حيث يمتد بعضها حتى / 15 / كم ومنها نبع وادي جوا ــ نبع وادي السمك ــ نبع وادي الزيتون ــ نبع وادي مسعود ، بالإضافة إلى ينابيع أخرى تصب في سهل البطيحة وهي : نبع وادي الصفا ــ نبع وادي الدالية ــ نبع وادي الشيخ علي .

مع العلم بأن منطقة فيق في الزويّة غنية بالينابيع وهي : نبع وادي كفرحارب ــ نبع وادي الدفيلة ــ نبع وادي جرمايا ــ نبع وادي الهوى ــ نبع وادي مسعود .

وهناك نبعان غزيران وهامان في شرق الجولان هما نبع عين الباشا ونبع الصخر ، كما أنه توجد ينابيع في جنوب الجولان لها خصوصيتها وهي ذات مياه معدنية لها أهمية استشفائية وهي ينابيع النخيلة البرجيات ، الصيادة ، الحمة .(١٨)

وتعد منطقة الحمّة المشتى الأول لسورية ، وتقع في منطقة الزويّة وفيق في أقصى الحدود السورية الأردنية ، و تبلغ مساحة منطقة الحمة / 5400 / دونم ، وتقسم أراضيها إلى ثلاثة أقسام هي :

منطقة سياحية : مساحتها / 700 / دونم تنبع فيها المياه المعدنية من ثلاثة ينابيع مختلفة الحرارة والتركيب :

ــ النبع الأول : حمّام الريح ، درجة حرارته / 36 / درجة مئوية .

ــ النبع الثاني : حمّام البلسم ، درجة حرارته / 40 / درجة مئوية .

ــ النبع الثالث : حمّام المقلى ، درجة حرارته / 49 / درجة مئوية .

هذه الينابيع تنبع من جوف براكين خامدة منذ ثمانية آلاف عام انغلقت على نفسها تحت القشرة الأرضية ، ومياهها لها فعالية إشعاعية كبيرة تستطيع موادها اختراق الأجسام ، وتنشيط الخلايا الحية وهي فريدة بين الينابيع المعدنية في العالم لما لها من أهمية في معالجة الكثير من

الأمراض التي تصيب جسم الإنسان ، وتصب ينابيعها كل يـــوم / 20 / مليون كالون في نهر اليرموك الذي يختلط مع مياه نهر الأردن عند جـــسر المجامع .

منطقة تاريخية زراعية : يرى بعض البـــاحثين أن الإنـــسان القـــديم أستوطن هذه المنطقة منذ بداية عصر البرونز في الألف الثالث قبل الميلاد فتاريخها يعود إلى عهد الدويلات العمورية ، والكنعانية .

كانت الحمة تعرف بأسم " آماثا " في العصر الروماني ، وينابيع إيليا أو حمامات إيليـــا في العـــصر البيزنطـــي ، وكانـــت أشـــهر ينـــابيع الإمبراطوريـــة الرومانيـــة ، وقد لعبت دوراً كبيراً في أيـــام الغـــساسنة ومساحة هذه المنطقة / 4500 / دونم .

وفي الحمة شواهد أثرية تدل على قدم المنطقة ، ففيها مجموعة مـــن القناطر والعقود الضخمة ، وهناك تل يتوسط منطقة الحمة يوجد علـــى سفحه مدرج جميل بني زمن الرومان ، كما يوجد في الحمة بقايا قاعـــة كبيرة إلى جانب معاصر الزيتون ، والعنب ، والطواحين الحجرية ، كما عثر في الحمة على لوحـــة فسيفساء هامة . ومن الشواهد المتبقية منـــذ أيام الغساسنة آثار كنيسة متهدمة شيدت على أسم القديس سرجيوس .

منطقة سكّانيـــة : مساحتها / 200 /دونم ، وقد بلغ عدد ســـكان الحمة قبل النكبة عام / 1948 / نحو / 700 / نسمة أضيف إليها لاحقاً / 450 / نسمة من لاجئي منطقة طبرية ، وسمخ .

تتبع الحمة إدارياً لقرية التوافيق ومنطقة الحاوي ، وتعتبر الحمة محطة للسكك الحديدية إذ كانت ترتبط بدمشق عن طريق درعا عـــبر وادي اليرموك كما كانت ترتبط بفلسطين عن طريق حيفا وسمـــخ ، وطبريـــة بواسطة الطرق المعبدة والسكك الحديدية ، وقد لعبت الحمة دوراً كبيراً في التجارة بين بلاد الشام ، وكذلك دوراً في الحروب .(١٩)

الفصل الثاني

1967 .. احتلال مرتفعات الجولان السورية

إن استراتيجية الحركة الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية هي استراتيجية للعدوان والتوسع المستمرين ، وهي جزء لا يتجزأ من الاستراتيجية العامة للإمبريالية العالمية في الشرق الأوسط ، تجّسد الاطماع التوسعية والنزعة العدوانية ، والطبيعة العنصرية للحركة الصهيونية .

في عام 1918 نشرت مجلة " فلسطين " مقالاً كتبه ديفيد بن غوريون وإسحق بن زمني تحت عنوان (حدود إسرائيل ومساحتها) جاء فيه :

يحد ((الدولة العبرية)) [1] غرباً البحر الأبيض المتوسط ، وفي الشمال جبل لبنان ، وفي الشرق الصحراء السورية ، وفي الجنوب شبه جزيرة سيناء ، وهذه هي الحدود التي حددتها الطبيعة الإسرائيلية وبكلمات أخرى تضم إسرائيل النقب برمته ، واليهودة والسامرة ، والجليل ، ولواء حوران ولواء الكرك بما في ذلك معان والعقبة وجزءاً من لواء دمشق أي ألوية القنيطرة ووادي عنجرة وحاصبيا وقد جاء في مذكرة الصهيونية لمؤتمر السلام مايلي : إن الحياة الاقتصادية

---

(١) ـ ((الدولة العبرية)) هي أراضي فلسطين المحتلة ، وأراض عربية أخرى محتلة .

في تلك الدولة تعتمد على مصادر المياه الموجـودة في سـورية ، ومـن الأهمية الحيوية بمكان أن تضمن وفقاً لذلك استمرار تدفق المياه إلى البلاد حالياً ، ثم وان تتمكن أيضاً من تخزينها والسيطرة عليها عند منابعهـا... إن جبل الشيخ هو أبو مياه فلسطين الحقيقي ، ولا يمكن فـصله عـن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر ، يجب أن يخـضع هـذا الجبل خضوعـاً كلياً لسيطرة الـّذين سوف يستفيدون منه إلى الحـد الأقصى .(٢٠)

في مطلع الخمسينات قامت إسرائيل بسلسلة من أعمال خرق بنـود اتفاقية الهدنة التي وقعت في 20 تموز 1948 وكانت سورية أخر بلـد عربي متاخم لفلسطين يوقع هذه الاتفاقية ، وقامت إسـرائيل في عـام 1950 بتنفيذ مشروع تجفيف بحيرة الحولة ، والمستنقعات المحيطـة بهـا شمالاً الأمر الذي أدى لتوفير مساحة / 145 / ألف دونم من الأراضـي الصالحة للزراعة .

وفي نيسان عام 1951 ارتكبت إسرائيل عدواناً عسكرياً وقـصفت مدفعيتها بلدة الحمة السورية وذلك بهدف إرغام سورية على الإذعـان والخضوع لإرادة العدوان والتوسع الإسرائيلي . وفي حزيران عام 1967 شنّت إسرائيل حرباً عدوانية على سورية واحتلـت هـضبة الجـولان السورية تنفيذاً للخطة ، والمخطط الصهيوني التاريخي .(٢١)

لقد جاء عدوان الخامس من حزيران عام 1967 نتيجة لاسـتمرار مظاهر التنسيق والتعاون بين الدول الاسـتعمارية وإسـرائيل ومحاولـة لاحتواء التغيرات النوعية التي برزت في الواقع العربي في بداية السبعينات وتطويقها ، والتي تجسدت في المظاهر التالية :

- اتساع حركة التحرر العربية ، وتقويتها التي تجسدت بثورة الثامن من آذار في سورية ، وثورة اليمن ، واستقلال الجزائر .

- إقامة علاقات واسعة ومتعددة بين عدد من الدول العربية والدول الاشتراكية مما أدى إلى تقوية الدول العربية .
- بروز مظاهر جديدة من العمل العربي باتجاه ترسيخ مظاهر التعاون والتنسيق المشترك مثل بداية عقد مؤتمر القمة العربي بالعام 1964 .
- بروز منظمة التحرير الفلسطينية في عام 1964 كإطار سياسي تنظيمي لتفعيل دور الشعب العربي الفلسطيني في تحرير أرضه واسترداد حقوقه .(٢٢)

في الوقت نفسه كانت حرب حزيران عام 1967 موقفاً محدداً من قبل إسرائيل فلم تخفي نواياها وعزمها على خوض الحرب ضد العرب وفي جلسات الكنيست خلال شهر أيار عام 1967 تأكد تماماً بأن التعبئة والاستعداد للحرب قد نفذا خلال أيام ، وكما قال ليفي أشكول في جلسة 22 أيار عام 1967 بأن التعبئة الجزئية قد نفذت في 15 أيار عام 1967 وكان الجو السائد في جلسات الكنيست منذراً باندلاع الحرب في أي لحظة محاولاً " أشكول " أن يعبئ الرأي العام بذرائع ومبررات تراها إسرائيل مبرراً لقيامها بالحرب ، ومن هذه الادعاءات بأن / 113 / عملية فدائية قد نفذت منذ عام 1965 ضد المستعمرات الإسرائيلية في شمال فلسطين من الأراضي السورية ، ومثل الادعاء بأن عبد الناصر قد خرق التعهدات الدولية التي أعطاها بعدم سحب قوات الطوارئ الدولية من غزة وسيناء ، ولم ينسى أن يثير زوبعة حول الحشود المصرية ، والسورية ويعتبرها سبباً يفضي بإسرائيل إلى التعبئة والاستعداد للحرب .(٢٣)

إذاً فإسرائيل اتخذت قرار عدوانها بحرب حزيران واعتبرته أمراً واقعاً وحاولت أن تجد له التبريرات التي يمكن برأيها أن تغطيّ بها قرارها .

بعد إبعاد بن غوريون عن السلطة واستلام ليفي أشكول أخذت

أمريكا مد جسورها إلى إسرائيل ، ومعها ففي عهد بن غوريون زار ليفي أشكول رئيس الوزراء واشنطن ، وقررت أمريكا تزويد إسرائيل بأحدث أنواع الأسلحة لاسيما أنها هي التي شجعتها على تحويل نهر الأردن كمشروع والذي كان نتائجه عقد مؤتمرات للقمة العربية ، وفي عام 1965 اقترحت واشنطن شن حرب جديدة ضد مصر بهدف الإطاحة بالرئيس جمال عبد الناصر وسحق الثورة المصرية ، وعموماً انتهى التواطؤ الأمريكي الإسرائيلي ضد العرب وعلى رأسهم مصر بحرب حزيران 1967 كما قامت أمريكا في الوقت ذاته بدفع المتطوعين الأمريكان الذين إدّعوا بأنهم تطوعوا بمحض إرادتهم وذهبوا إلى الجبهة هذا في الوقت الذي وصل فيه إلى إسرائيل العديد من ذوي الخبرة القتالية من فرنسا ، وبعض الدول الأوربية للمشاركة في هذه الحرب ضد العرب .(٢٤)

إن الولايات المتحدة وإسرائيل رأت في التغيرات النوعية التي برزت في الواقع العربي في بداية الستينات من القرن الماضي ، رأت فيها عامل تهديد لمخططاتها ، وأهدافها فبدأت العمل على تطويقها واحتوائها من خلال :

- تزويد إسرائيل بصفقات واسعة من الأسلحة الحديثة والمتطورة .

- العمل على غرس مظاهر التشتت ، والفرقة في الواقع العربي وتطويق أي تطورات إيجابية باتجاه حشد الطاقات والإمكانيات العربية .

- اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية المسلحة لاحتواء التغيرات الإيجابية في الواقع العربي وتطويقها وتجسد ذلك عملياً في عدوان الخامس من حزيران على الأمة العربية عام 1967 .(٢٥)

يقول إسحق رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في 1967 في مذكراته : في الثاني من حزيران 1967 عقدت الحكومة الإسرائيلية

اجتماعاً حضره عدد من كبار العسكريين وقال رئيس شعبة الاستخبارات أننا نعتقد بأن الولايات المتحدة تدرك بأنه يجب على إسرائيل أن تعمل على الرغم من أنه ستواصل قول غير ذلك فعلينا إذن أن نعمل .(٢٦)

في الليلة التي طار بها جونسون الرئيس الأمريكي إلى نيويورك لحضور احتفال الحزب الديمقراطي أشار إلى قلقه العميق إزاء الوضع في الشرق الأوسط دون أن يستطرد في ذلك ، وبينما كان جونسون يتناول العشاء قيل أنه قد أبلغ بأن إسرائيل قد اتخذت قرار المضي إلى الحرب ، إذ مال عليه " إيب فينرج " وهو من رجال البنوك البارزين ومن جامعي التبرعات للحزب الديمقراطي وهمس في أذنه ((سيادة الرئيس لم يعد ممكناً وقفها أكثر من هذا فستقع الحرب أثناء الأربع والعشرين ساعة المقبلة)) وهكذا علم الرئيس بأن نشوب الحرب أصبح وشيكاً .

وفي الساعات الأربع والعشرين الباقية قبل وقوع الهجوم الإسرائيلي لم يتخذ جونسون أي إجراء أخر ، فالإسرائيليون لم يبلغوه رسمياً بالقرار الذي اتخذوه ولكن لم يكن هناك ما يدعوه إلى الدهشة عند إيقاظه في صباح 5 يونيو / حزيران لإبلاغه بأن الحرب قد بدأت .

إن جونسون لم يوجه مطلقاً لوماً إلى الإسرائيليين لأنهم بدأوا الحرب وإن كان قد أعرب عن خيبة أمله لأنهم لم يأخذوا بمشورته ، وفي اجتماع جونسون مع مستشاريه يوم / 7 / يونيو عندما أصبح النجاح الإسرائيلي في الميدان واضحاً للعيان ، أعرب عن تشاؤمه بأن تؤدي الحرب إلى حل المشكلات المتأصلة جذورها في المنطقة ، وبعد ذلك بسنوات أكد " والت راستو " مستشار الأمن القومي للرئيس الذي كان طوال الأزمة يتحدث مع الرئيس بصورة متواترة أكثر من أي شخص أخر إن جونسون أعترض اعتراضاً حازماً على قرار إسرائيل شن

الحرب .

وسرعان ما حولت الولايات المتحدة اهتمامها إلى الحصول على وقف لإطلاق النار والتأكد من أن الاتحاد السوفيتي لن يتدخل ، أما مسألة كيف بدأت الحرب التي استأثرت بشيء من الاهتمام في الساعات المبكرة فلم تلبث أن تخطتها الأحداث . وكان جونسون متلهفاً على نقل الانطباع الأول بأن الولايات المتحدة لم يكن لها ضلع في القتال ، فلعل هذا يقلل من الخطر الذي قد تتعرض له مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي ، ويقلل من احتمال حدوث تدخل سوفييتي ، ويسهل مهمة وقف إطلاق النار . لكن الغموض أحاط بما إذا كان وقف إطلاق النار يقترن بنص خاص للعودة إلى حدود ما قبل الحرب ، وواضح أنه قد جرى استبعاد موضوع العودة المباشرة إلى الوضع السابق في / ٤ / يونيو/حزيران 1967 .[٢٧]

عن دور أمريكا في حرب 1967 يذكر " موسى صبري " عن هذا الدور في افتتاحية جريدة الأخبار المصرية في 12 / 9 / 1980 نقلاً عن كتاب (جبال الرمال) الفشل الأمريكي في الشرق الأوسط لمؤلف أمريكي كان مستشاراً لوكالة الاستخبارات الأمريكية كيف أن جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق ومستشاريه العسكريين كانوا هم الذين وضعوا خطة حرب حزيران 1967 إلى أصغر وأدق تفاصيلها .[٢٨]

الاتحاد السوفييتي السابق في حزيران 1967 لم يكن مستعداً للتدخل المباشر في الحرب انتصاراً للعرب والدول العربية الصديقة التي أمدها بسلاحه ، وخبرائه ، وقروضه ، وكان موقفه أثناء الأزمة مربكاً للعرب داعياً للحيرة والاضطراب ، فبعد التحذير من الحشد الإسرائيلي ، وبعد التشجيع على مواقف التصلب وإظهار القوة طلب من مصر في مسعى

متوازٍ مع مسعى الولايات المتحدة ألا تكون البادئة بالهجوم وأن تتجنب الحربَ متجهاً بذلك أي الاتحاد السوفيتي بتحقيق مصالحه الوطنية التي لا تتأثر بصداقة للعرب ، أو عداوة لإسرائيل ، وبالأكيد على ضوء أهدافه البعيدة في المنطقة مع الأخذ بعين الاعتبار العلاقات بالولايات المتحـــدة الأمريكية واستبعاد المواجهة المباشرة معها واحتمالات الحرب الـــشاملة آنذاك .

وبالنسبة للغرب فليس الغرب كله دائماً مع إسرائيل وأقرب دليـــل على ذلك موقف الرئيس الفرنسي (ديغول) فبعد أن زودت المـــصانع الفرنسية إسرائيل بالطائرات التي ربحت بها الحرب أتخذ ديغـــول قبيـــل الحرب ، وفي أثنائها ، وبعد وقوعها موقف الحكم من الـــتراع محـــذّراً إسرائيل من أن تكون البادئة بالحرب ، ثم أتخذ موقف اللائم لها لأنهـــا لم تعمل بنصيحته ، وكان في ذلك ينظر إلى اعتبارات تتعلق بمصلحة فرنسا وسمعتها في العالم ، وقال الجنرال ديغول في اليهود كلاماً هو أبلغ وأخطر ما صدر عن رجل دولة معاصر قال : إن اليهود ظلّوا كما كانوا منـــذ القديـــم شـــعب نخبة واثقاً من نفســـه ، ونازعاً إلى السيطرة ، وإنهـــم قد يتحولون إذا ما أنتظم شملهم إلى طموح عنيف غاز لتحقيق رغبـــات كوّنوها منذ تسعة عشر قرناً ، ووصف إســـرائيل بأنها دولـــة محاربـــة ومصممة على التوسع ، ويضيف بأنه واضح أن التدابير الـــتي اتخـــذتها لمضاعفة سكانها باستقبال عناصر جديدة من المهاجرين إليها ترك مجـــالاً للظن بأن الأرض التي استولت عليها لن تكفيها طويلاً وإنها ستلجأ لكي تتوسع إلى استغلال كل فرصة تسنح .(٢٩)

قبل اندلاع الحرب ظلت فرنسا طول فترة تطور وتـــصاعد الأزمـــة صامتة وأســـتمر تدفق الأســـلحة الفرنسية على إســـرائيل ، ولقـــد حرص ديغول على أن يؤكد في لقاءه مع أبا ايبـــان وزيـــر الخارجيـــة

الإسرائيلي في 24 أيار على مطالبة فرنسا بألا تبدأ إسرائيل الحرب والتي تسعى أيضاً لتحويل المواجهة من الميدان العسكري إلى الميدان الدبلوماسي خوفاً من تزايد تورط القوتين الأعظم في حالة اندلاع الحرب ، فجاء بيان الحكومة الفرنسية في 2 / حزيران 1967 الذي صاغه ديغول بنفسه تجسيداً لبوادر الاتجاه الجديد للسياسة الفرنسية بعيداً عن التزامها السابق التقليدي بتأييد إسرائيل بصورة مطلقة ، فلقد كان جوهره التأكيد على حياد فرنسا ، وإعلانها عن عدم مساندة الطرف الذي سيبدأ القتال ، ولكن مع الاعتراف بحق كل دولة في المنطقة في البقاء ، وقد رحّبت الدول العربية بهذا الموقف الذي كان بداية العاصفة في العلاقات الفرنسية - الإسرائيلية ومع اندلاع الحرب لم تصدر الحكومة الفرنسية أية بيانات رسمية لكن الموقف الفرنسي في مناقشات مجلس الأمن / 5 -11 / حزيران 1967 تميز عن موقف الولايات المتحدة بصفة خاصة ، ويتلخص هذا الموقف كالآتي :

الاعتراف بعدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة والربط بين وقف إطلاق النار ، وبين عودة القوات المتحاربة إلى حدود / 4 / حزيران 1967 والتأكيد على حق إسرائيل في البقاء والامتناع عن التصويت على المطالبة بمجرد إدانتها ، اعتقاداً من فرنسا أن الطريق إلى السلام لا يتحقق بالإدانة فقط ، ولكن بالمفاوضات أيضاً .(٣٠)

وبالنسبة لوضع إسرائيل العسكري فإن القوات الإسرائيلية كانت على درجة عالية من التنظيم عام 1967 تقودها نخبة من الضباط الذين نالوا تدريباً عسكرياً عالي المستوى في القوات البريطانية ، وشاركوا في الحرب العالمية الثانية وحرب 1948 أمثال إسحق رابين ــ حاييم بارليف ــ عيزار وايزمن ــ مردخاي هود ــ وغيرهم . ومع نهاية الحرب كانت إسرائيل قد وقفت عند حدود نهر الأردن شرقاً وقناة

السويس جنوباً ، والقنيطرة شمالاً ، واحتلت أراضي مجموع مساحتها / 89000 / كم٢ وهي أراضي فلسطين المحتلة عام 1948 وأراضي الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والجولان السوري ، وسيناء .[٢١]

أصر العرب على الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية التي احتلت حديثاً قبل إنهاء العمليات العسكرية ، ومن ناحية ثانية طالبت إسرائيل بمفاوضات مباشرة ، وبتسوية شاملة لا يتم الانسحاب فيها إلا بعد توقيع اتفاقية سلام .

أيدّ الاتحاد السوفيتي موقف العرب في حين وافقت الولايات المتحدة على نهج التسوية الشاملة وإن كانت أقل منها إصراراً على المفاوضات المباشرة . وفيما يتعلق بانسحاب القوات الإسرائيلية فقد تغير الموقف الأمريكي بين شهري يونيو ، ونوفمبر حيث كانت الولايات المتحدة في بادئ الأمر مستعدة لتأييد قرار مقدم من أمريكا اللاتينية يطالب إسرائيل بسحب قواتها جميعها من جميع الأراضي المحتلة نتيجة الصراع الأخير ولكن القرار رفض كما رفض مشروع مبدئي أميركي – سوفيتي مشترك أعد في أواسط يوليو لم يجرِ النظر فيه مطلقاً بسبب اعتراضات عربية جذرية على نصوص تدعو إلى إنهاء الحرب مع إسرائيل . وفي أواخر أغسطس ازداد الموقف العربي تصلباً في مؤتمر الخرطوم حيث اضطر عبد الناصر ، والملك حسين عاهل الأردن في مقابل دعم من البلدان المنتجة للنفط إلى الموافقة على مبادئ توجيهية للتسوية السياسية مع إسرائيل تستند إلى عدم الاعتراف ، وعدم التفاوض ، وعدم التخلي عن حقوق الفلسطينيين ، وعدم عقد اتفاقية سلام . وقد استؤنفت المناقشة العامة للأمم المتحدة في أواخر أكتوبر ، ثم حدث تحول في موقف الولايات المتحدة فأصبحت تؤيد انسحاب القوات المسلحة من أراضٍ محتلة وكان غموض العبارة أمراً مقصوداً وهو يمثل أقصى ما كانت إسرائيل

على استعداد لقبوله ، وأخيراً أقر في 22 نوفمبر عام 1967 حل وسط بريطاني يعرف بقرار الأمم المتحدة رقم / 242 / والذي تضمّن انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضٍ محتلة في التراع الأخير وإنهاء جميع حالات الحرب ، أو الإدعاء بها ، واحترام والاعتراف بالسيادة ، ووحدة الأراضي ، والاستقلال السياسي الخاصة بكل دولة في المنطقة ، وبحقها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود آمنة معترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها .

ودار قدر كبير من الدبلوماسية في السنوات التالية حول الجهود الرامية إلى جعل هذه العبارة ((أراضٍ محتلة)) المتعمدة الغموض أكثر تحديداً وإلزاماً وقد دعا قرار الأمم المتّحدة إلى وجود ممثل تعينه الأمم المتحدة للعمل مع الطرفين في سبيل التوصل إلى حل ، وهي مهمة وقعت على كاهل " جونار يارنج " سفير السويد في موسكو الذي كانت خبرته الوحيدة في الشرق الأوسط هي التخصص في إحدى اللغات التركمانية ، وإقامته في كاشجار في عقد الثلاثينات من القرن الماضي .(٣٢)

بعد الحرب مباشرة أصبحت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أكثر عمقاً وحميمية من السابق ، وهذا ما جعل السّاسة العرب في المؤتمر الرابع في الخرطوم يشيرون إلى ضرورة قطع العلاقات مع واشنطن التي راحت تطرح في عهد الرئيس نيكسون نظرية جديدة تتعلق بمصالحها في المنطقة العربية مفادها أن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط تقتضي جعل إسرائيل قوية ومتفوقة إلى حد كبير على جاراتها العربيات من الناحية العسكرية .

وبالنسبة إلى الأهداف البعيدة التي كانت تهدف إليها حرب حزيران فيمكن حصرها بالتالي :

ـ تحطيم الرفض العربي للوجود الإسرائيلي .
ـ السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية للدول المجاورة لإسرائيل ، واستخدامها كورقة ضغط أمام شعار الأرض مقابل السلام .
ـ احتلال القدس الشرقية والقضاء على القرار رقم / 181 / القاضي بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وعاصمتها القدس إلى جوار الدولة العبرية.
ـ فرض السيطرة الأمريكية على المنطقة سيطرة مباشرة مع إشعار العرب بأن الحل يكمن في يد أمريكا فقط ، وليس هناك أي دور فاعل للاتحاد السوفيتي ولا لمجلس الأمن ، ولا حتى أوربا في حل مسألة الصراع العربي الإسرائيلي إذا لم ترغب أمريكا بإعطائهم هذا الدور .
ـ القضاء على الوجود السوفيتي في المنطقة ولا سيما في سورية ومصر .
ـ تحطيم شوكة الرئيس جمال عبد الناصر الذي أصبح بطلاً قومياً بعد تدخله في حرب اليمن ، ومحاربة القوى الرجعية هناك .[٣٣]

إن التراع العربي – الإسرائيلي الذي نشأ مع حرب 1948 مع تقسيم فلسطين ، وتأسيس دولة إسرائيل على تراب فلسطين والذي عززته ودعمته إمبرياليات تالية تعاونها إسرائيل في المنطقة ، اعتداءات أدت إلى حرب السويس عام 1956 .

إن تقوية السلطة الصهيونية بحثاً عن أرض جديدة وموارد جديدة لإسرائيل الكبرى أدت إلى حرب حزيران - يونيو 1967 الحرب العربية الإسرائيلية في أقل من عقدين .

لقد شنّت الحرب على جبهات عديدة في سيناء ، والضفة الغربية ومرتفعات الجولان ، ولم تدم الحرب أكثر من ستة أيام انتهت الحرب باحتلال إسرائيلي لأراضي عربية .

في صبيحة يوم الاثنين (5) يونيو 1967 أصدر موشي ديّان أوامر

الهجوم ، واتجهت الطائرات الإسرائيلية منخفضة الطيران تجنباً للـــرادار المصري إلى المطارات ، ودمر الإسرائيليون القوى الجوية كلـــها بينمـــا كانت ما تزال على الأرض ، الطائرات التي كانت رابـــضة جناحـــاً إلى جناح لم يتم حتى تمويهها .

ما أن أنجز هذا حتى كانت القوات الإسرائيلية قادرة على احـــتلال سيناء المصرية ، والضفة الغربية الأردنية ، ومرتفعات الجولان الـــسورية خلال أيام قليلة .

لقد انتهت الحرب في (10) يونيو وضاعفت إسرائيل في موقـــف قصير للغاية أراضٍ احتلتها أربعة مرات .(٣٤)

صحيح أن إسرائيل استطاعت أن تضاعف المساحات التي احتلتـــها أربع مرات باحتلالها أراضي عربية جديدة ، ومنها الجولان ولكنـــها في الوقت نفسه استطاعت أن تضاعف آلاف المرات الحقد ، والـــضغينة في قلوب من شردهّم عن أراضيهم وبيوهّم التي دمرهّا بوحشية وعنف فقد نقشت في ذاكرة هؤلاء تلك الوحشية الرعناء ، والكهلة منـــهم الـــذين حرموا من أن يقضوا أخر أيامهم في قراهم ، أو أن يدفنوا تحت ترابهـــا تلك إسرائيل التي ضاعفت عدوانياً أراضيها باحتلال أرضنا في الجـــولان نذكّرها وربيباهّا بأننا عائدون عائدون لا محال ، وما استحال .

الفصل الثالث

الاستيطان الإسرائيلي في الجولان

قرر المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ، وهو أول مؤتمر صهيوني يعقد بعد حرب حزيران 1967 أن مسؤولية الاستيطان هي للوكالة اليهودية وعلى اللجنة العامة لشؤون الاستيطان التي تضم الحكومة والوكالة تنفيذ الخطط التي تضعها دائرة الاستيطان الزراعي في الوكالة اليهودية .

وقد رسم المؤتمر خطاً لتطوير وبناء المستوطنات في المناطق الحدودية الجبلية ، وأعطى الأولوية للمناطق التالية : الجليل ـ النقب ـ وادي عربة . ومن هنا يظهر أن العامل الاستراتيجي لا الزراعي هو الأساس في بناء المستوطنات وتطويرها ، وإن مصدر الاهتمام بتسريع حركة الاستيطان في الموقف الصهيوني نابع من أن الاستيطان ينهي صفة الاحتلال بحيث يصبح الاستيطان حقيقة واقعة .

وبالرغم من إصرار الحكومة الإسرائيلية على تنفيذ مشروعات الاستيطان في الأراضي المحتلة فإن معدل بناء المستوطنات كان بطيئاً بالنسبة إلى الفترات الأولى لبناء الدولة .

إن الفارق بين سرعة بناء المستوطنات في السنوات الأولى من قيام إسرائيل وبين سرعة بنائها بعد حرب 1967 يعود إلى ظروف موضوعية :

فالظرف الأول الذي نشأت فيه إسرائيل أعطاها مجالاً معترفاً به من

قبل الهيئات الدولية بل وأكسبها قدرة على الإسراع في تحقيق برامجها التي وضعتها لاستقبال آلاف المهاجرين اليهود وبناء المستوطنات لاستيعابهم .

أمّا الظرف الثاني الذي واجه إسرائيل بعد حرب حزيـــران 1967 فهو إنها دولة غازية احتلت أراضي الغير بالقوة ، وتعّدت على شـــرعية وسلامة الأقطار المحيطة بها .

استمرت إسرائيل في سياستها الاســـتيطانية القائمـــة علـــى عـــدم الانسحاب من أية أرض احتلتها ، فقامت بحركة بناء المـــستوطنات في الضفة ، وسيناء ، ومشارف رفح ، والجولان واستمرت مستهدفةً بعـــد الاحتلال تسييج المناطق العربية وتقطيع الإتصال بين الـــسكان العـــرب كما استهدفت بناء خط من المستوطنات من الجولان العربي الـــسوري وحتى شرم الشيخ مروراً بغور الأردن .(٣٥)

والجدير بالذكر بأن أطماع الحركة الصهيونية في الجـــولان العـــربي السوري تعود إلى العام 1887 م وذلك حين أنجزت أعـــداد خـــرائط للجولان ، وحوران في جنوب سورية حددت عليها أكثر من مئة موقع من بينها إثنا عشر موقعاً ادّعت أنها تضم رموزاً يهودية ، وجاءت المحاولة الأولى للاستيطان الصهيوني عن طريق جمعية بني يهوذا التي حاولـــت في تلك الآونة امتلاك خمسة عشر ألف دونم من أراضي وقـــرى الرمثانيـــة والتي تبعد مسافة / 15 /كم عن مدينة القنيطرة ، وقبـــل ذلـــك كـــان " لورانس أوليفانت " قد أعد كتاباً عام 1771م دعا اليهـــود فيـــه إلى احتلال الجولان التي هي أرض عربية سورية منذ مطلع التاريخ .

وفور الاحتلال باشر الصهاينة عمليـــات الاســـتيطان في الجـــولان فأقامت وكالة الاستيطان اليهودية بادئ الأمر / 4 / مستعمرات هـــي مشيئوت ـ كيلع ـ رفيد ـ لفيدوت وبين عـــام 1967 وعـــام 1981 صادرت إسرائيل / 352 / ألف دونم أي ما يعادل ثلاثة أرباع الجولان

وأنشأت فوق ركام القرى المهدمة / 32 / مستعمرة يعيش فيها / 16 / ألف مستوطن .

لقد اتخذ الاستيطان في الجولان إقامة نقاط استيطانية بنيت على شكل قوس ممتد من سفوح جبل الشيخ ، وبانياس إلى البطيحة على بحيرة طبريا ، ولم يتجاوز عدد سكان هذه النقاط بين عامي 1967 و1973 الألف نسمة .

ولقد كانت محصلة تنفيذ سياسة الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة بعد عام 1967 وخلال خمسة أعوام على النحو التالي :

ـ / 17 / مستوطنة في الجولان السوري .

ـ / 16 / مستوطنة في الضفة الغربية .

ـ / 10 / مستوطنة في غزة وسيناء .

حيث بلغ عدد سكانها جميعاً / 4200 / نسمة ، وكان معنى هذه المحصلة في مجال سياسة الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة هو تكريس الحركة الصهيونية لفكرة غزو الأرض .(٣٦)

وحتى بداية السبعينات في الجولان استطاعت السلطات الإسرائيلية أن تقوم بتمهيد وزراعة / 50 / ألف دونم وتمهيد / 54 / ألف دونم لزراعتها ، وكان الاتجاه الرئيسي للمستوطنات في الجولان في بداية السبعينات هو استغلال مراعي الجولان التي تصل مساحتها إلى قرابة / 300 / ألف دونم بيد إن العامل الاقتصادي لم يكن إلا عاملاً ثانوياً من عوامل استيطان الجولان ، ذلك أن العوامل التوسعية والعدوانية كان لها الدور الأول في هذا الاستيطان ودفعه إلى الأمام ، ويكشف عن ذلك بوضوح تصريح بن غوريون في أواخر عام 1970 الذي يقول فيه : إن الضرورة تحتم حالياً وفي أقرب وقت ممكن إقامة عشرين مستوطنة يهودية في هضبة الجولان ، بالإضافة إلى المستوطنات القائمة حالياً

ذلك إن هذه الوسيلة من أنجع الوسائل التي يمكن بواسطتها إبقاء هـــذه الهضبة تحت سيطرتنا ، إن العالم والقول لـــ بن غوريون حينــذاك لــن يبادر إلى طرد اليهود من هذه المنطقة .

ويلاحظ من طريقة توزع مــستوطنات الجــولان أهميــة العامـــل العسكري في استراتيجية الاستيطان في الجولان ، فهــذه المــستوطنات تتمركز في نطاقين :

- الأول : يمتد على شكل قوس يبدأ من سفوح جبل الشيخ قـــرب بانياس ثم يسير بمحاذاة خط وقف إطلاق النار 10 / 6 / 1967 علــى امتداد المحور الرئيسي (طريق مسعدة ــ القنيطرة ــ الرفيد ــ الحمة) .

- الثاني : يتمركز في جنوب غرب الجولان عنـــد حـــدود 1967 وبمحاذاة الشواطئ الشرقية لبحيرة طبريا .

كذلك تدل طبيعة هذه المستــوطنات تكوينـــاً ، وطبيعة تحـــصينها واختيار مواقعها على أهمية العامل العسكري في استيطان الجولان .

وخلال حرب تشرين 1973 دار في إسرائيل جدل كبير حول أهمية المستوطنات الاستراتيجية في الجولان ، وجدواها الدفاعية علــى ضـــوء الأعمال القتاليـــة وسير المعـــارك في حـــــرب تـــشرين ، وظهـــرت نظريتين حول استيطان الجولان :

- تقول الأولى : بعدم التخلي عن الجولان ، وعدم استيطانه .
- تقول الثانية : بوجود الاحتلال ، والاستيطان معاً .

وتلخص صحيفة (دافار) النظرية الأولى فتقول : إن الجولان يجب أن يبقى ميداناً للقتال والقتل دون أن يكون مكاناً للحياة ، والاستيطان فهذا الحاجز غير الزراعي هو ما نطمح إليه في سيناء ويجب أن يكـــون الشيء نفسه في الجولان .

وترد النظرية الثانية فتقول : إن السيطرة على هضبة الجولان كحاجز

عسكري وقتالي بدون استيطان معناها التخلي عن الهضبة ، ودعوة السوريين لأن يعودوا ويجلسوا على رأس مستوطنات الجولة .

ولكن سرعان ما حسم المسؤولون الإسرائيليون هذا الجدل لصالح النظرية الثانية القائلة بالاحتلال والاستيطان معاً ، لأنها النظرية التي تتفق مع الفكرة الصهيونية ، ومضمونها العدواني التوسعي . فقد صرحت غولدامائير رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك في تصريح أذيع لها من راديو إسرائيل بأن الجولان جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل ، وفي 14 / 2 / 1974 أعلن ثلاثة من زعماء حزب العمل ، الحزب الحاكم آنذاك وهم غولدامائير ــ دايان ــ آلون في اجتماع عقد في جامعة بار إيلان بأن مستوطنات الجولان والقنيطرة سوف تبقى بيد إسرائيل .(٣٧)

يبين الجدول التالي المستعمرات الإسرائيلية التي بنيت على أنقاض القرى العربية في الجولان .

المستعمرة	القرية العربية
نيفي أتيف	جباتا الزيت
شنير	بانياس
هاد أدوم	قرب مسعدة
الروم	عين الحجل
ميروم جولان	غرب تل العرام
عين زيفان	عين زيوان
كتسرين	قصرين
كيشيت	الخشنية
إيغام	العامودية
بوناتان	الشعبانية

شاعل	قرحتا
جملا	عزيل
رامون	الدوكا
مركز خسفوت	المنطار
رامات مغشميم	خسفين
أفني إتيان	الصيرة
نوف	ناب
جيشور	جديا
إيلعال	العال
جفعان بوّاب	سكوفية
نينووت جولان	بالوعة فيق
كفارحروف	كفر حارب
مابوالحمة	مزرعة عز الدين
اليعاد	دبوسية
عيون	حمد

هذا بالإضافة إلى المستعمرات التي تم إنشاؤها مؤخّراً في القرى الجولانية التالية :

قطوع الشيخ علي ــ اليعربية ــ جرابا ــ راوية ــ حسينية الشيخ علي ــ قناعبة ــ واسط ــ سكيك ــ جبب ــ الرزانية .(٣٨)

إن إسرائيل وإن غيرت أسماء القرى بعد أن استبدلتها بالمستوطنات وحاولت أن تجبر الأراضي في الجولان على مزروعات غير التي عهدتها من قبل مزارعيها الأوائل الأصليين فأن عليها أن تعلم بأن التراب الذي جبل بحبات العرق التي سالت من جباه من زرعه ، وقطرات الدم التي سالت من دماء من دافعوا عن الجولان ، وسقطوا شهداء على ثرى

الجولان الحبيب ستبقى رائحته في أنوف من سقوه بعرقهم ، ودماءهم قبل مياه أنهارهم ، وسواقيهم ، هذه الرائحة ستوّرث للأجيال القادمة من بعدهم كما ورّثهم أجدادهم ، وآباءهم حب الأرض والتشبث بها وحب العودة ، والتي تنسينا هذه المستعمرات وأسمائها المصطنعة وتذكرّنا قرانا بحقها وحقيقتها .

يقول أحد مستوطني (ماروم جولان) : إن الإنسان لا يعرف أية امتحانات تنتظرنا ، ومن الصعب التكهن بالصراعات والحروب والضغوط الخارجية التي تنتظرنا ، أن كل من يقول بأن هضبة الجولان بكافة أجزائها ستكون بلا شك جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل لا يفقه ما يجري على لسانه .(٣٩)

أستدعى مناحيم بيغن وزارته الليكودية ، وبعد اجتماع لم يدم طويلاً تقرر طرح مشروع يقضي بضم الجولان إلى إسرائيل وإخضاعه للقوانين النافذة داخل الكيان الصهيوني ، وتم وضع المشروع على جدول أعمال الكنيست في 14 / 12 / 1981 وتم تمريره بالقراءات الثلاث خلال ساعات خشية التباطؤ الذي قد يؤدي إلى ضغوط خارجية تعطل القرار الذي أيده / 63 / عضواً ، وعارضه/ 21 / عضواً .

لكن لم يكن لإسرائيل ما يبرر مخاوفها هذه والولايات المتحدة الأمريكية لم تتردد في استخدام حق الفيتو لحماية إسرائيل من فرض عقوبات دولية ضدها بسبب قرارها ضم الجولان إليها .

وفي السابع والعشرين من شهر شباط عام 1986 ألقى الرئيس حافظ الأسد خطاباً قال فيه رداً على قانون الضم : إن الجولان ليست محتلة بقانون سنته إسرائيل ، ولم ، ولن يتوقف تحريرها على عدم وجود قانون تسنه إسرائيل .

وكرد فعل عالمي مباشر على هذا الإجراء التعسفي الهمجي

اللاإنساني صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم / 497 / ببطلان ضمّ الجولان إلى إسرائيل الكيان الصهيوني ، فقد أصدر مجلس الأمن الدولي صباح يوم الجمعة الواقع في 17 / 12 / 1981 وبعد ثلاثة أيام من صدور القانون الإسرائيلي لضم الجولان، القرار رقم / 497 / الذي يطالب العدو الصهيوني بإلغاء ضم الجولان ، وقد جاء في القرار ما يلي : مجلس الأمن إذ يؤكد إن اكتساب الأراضي بالقوة أمرٌ مرفوض بموجب نصوص ميثاق الأمم المتحدة ، ومبادئ القانون الدولي ، والقرارات الصريحة لمجلس الأمن ، يقرر ما يلي :

- **أولاً** : إن القرار الذي اتخذته إسرائيل بفرض قوانينها ، وتشريعاتها ونظمها الإدارية على مرتفعات الجولان المحتلة يعد باطلاً ، وكأنه لم يكن وعديم الأثر قانوناً على الصعيد الدولي .

- **ثانياً** : يطلب من إسرائيل الدولة القائمة بالاحتلال إلغاء قرارها دون إبطاء .

- **ثالثاً** : إن كافة أحكام معاهدة جنيف الموقعة في (2) آب 1949 المتعلقة بحماية الأشخاص المدنين في أوقات الحرب ما تزال سارية المفعول على الأراضي السورية التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967 .

- **رابعاً** : يدعو السكرتير العام إلى تقديم تقرير إلى مجلس الأمن عن تطبيق هذا القرار في خلال أسبوعين من تاريخه ، ويقرر إنه في حال عدم امتثال إسرائيل أن يعقد مجلس الأمن جلسة طارئة في الخامس من شهر كانون الثاني عام 1982 على أقصى تقدير لبحث اتخاذ الإجراءات المناسبة وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

لم تكترث إسرائيل بقرار مجلس الأمن المذكور الذي عاد إلى الاجتماع في 6 / 1 / 1982 للبحث في مسألة فرض العقوبات على إسرائيل ، وفي صباح يوم الخميس 21 / 1 / 1982 استخدمت

الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن حق النقض (الفيتو) ضد مشروع القرار العربي الذي يدعو كافة الدول إلى فرض عقوبات على إسرائيل لإقدامها على ضم الجولان .

وفي 5 / 2 / 1982 وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة على مشروع القرار الذي تقدمت به سورية مع مجموعة الدول العربية ، ودول عدم الانحياز، والذي يقضي بإدانة إسرائيل وإجراءاتها المتعلقة بضم الجولان ، وعدم إذعانها لقرار مجلس الأمن الدولي رقم / 497 /.[٤٠]

وقد شهدت مدينة القنيطرة المحررة أكبر تظاهرة جماهيرية استنكارية شاركت فيها وفود من البلدان العربية ، والدول الصديقة ، وكان الإضراب العام البطولي الذي بدأ به المواطنون العرب السوريون في الجولان العربي السوري بتاريخ 14 / 2 / 1982 والذي أستمر قرابة سبعة أشهر مثلاً أعلى للتضحية والفداء ، ورداً حاسماً على الشعار الذي طرحه الغزاة المحتلون (لنكن نحن في الجولان) .

في جوٍ من التشجيع الأمريكي أقدمت إسرائيل على ضم الجولان ففي وثيقةً خطية من " جيرالدفورد " لإسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك يلتزم بها بأن الإدارة الأمريكية لن تنسف الموقف الإسرائيلي المطالب بالبقاء في هضبة الجولان حتى لو إلتقت إسرائيل وسورية حول طاولة المفاوضات .

وكان نيكسون قد صرح للصحافة عام 1973 بأنه لو كان رئيساً لحكومة إسرائيل لما تنازل عن هضبة الجولان حتى مقابل السلام .[٤١] تلك زبدة الموقف الأمريكي المعبر عنه قولاً وفعلاً ، والمؤيد لإسرائيل في مواقفها الظالمة دائماً وأبداً .

لقد عمدت إسرائيل إلى تغيير أسماء القرى من أسماء عربية إلى عبرية

ظناً منها أنها تستطيع بذلك مسح تلك القرى من الذاكرة العربية ، ومن ثم تقيم عليها مستوطنات فتصبح القرى كأنها لم توجد أصلاً .

إن هذه القرى ليست مجرد بيوتاً مبنية من الحجارة يمكن أن تـزال بالجرافات والمعدات الثقيلة ، وليست أسماءً يمكن أن تتبدل وتتغير بحسب الزمان والظروف . إنها أرض الأجداد والآباء ، وكل شبر من ترابها يحمل ذكريات طفولة ، أو لقاء أحبة ، أو موت عزيز ، وحبات ترابها ممزوجة بعرق فلاحيها المنهمر من جباههم السمراء ، وكم دماءً سالت على ترابها الطاهر دفاعاً ضد غازٍ ، أو معتد آثم . فكيف ينسى أبناء الجولان وطنهم وديارهم ، إنها محفورة في شريط ذكرياتهم المتوارث عن الأجداد والآباء ، ومجالس سمرهم في كل ليلة تكاد لا تخلو من حادثة ، أو طرفة حصلت هناك ، ولن يهدأ لهم بال حتى يعودوا إلى أرضهم . لذلك لن يجدي إسرائيل نفعاً مهما حاولت عبر الزمن وسيبقى الجولان جولاننا سورياً بجغرافيته ، وعربياً بأصالته .

الفصل الرابع

1973 ... الحرب العربية – الإسرائيلية الرابعة

كان لابدّ من حرب رابعة ، شاءت المصادفة أن يكون على سـدهما زعيمان عربيان يفتقدان إلى الكثير من القواسم المشتركة بينهما يـأتي في مقدمتها وحدة الفكر ، والهدف .

فالرئيس حافظ الأسد أراد أن يخوض الحرب لإعتقاده بأنه لايمكن أن تكون هناك مفاوضات مرضية مع إسرائيل حتى يستعيد العرب بعـض أراضيهم المسلوبة على الأقل . وأمّا السادات فقد أراد أن يخوض الحرب بسبب شعوره بالإحباط وخيبة الأمل ، إضافة إلى مواقف أخرى يبـدو أنها دفعته إلى دبلوماسية السلام الذي بدأ اهتمامـه بهـا واضحـاً في السر والعلانيـة معاً ، ولكنهّا أيّ دبلوماسية للسلام لم تؤدِ إلى شيء .

ومن هنا جاءت مسألة الحرب مع العدو بالنسبة إلى الرئيس حـافظ الأسد على أنها حرب تحرير ، وبينما كانت عند السادات بعد إقتناعـه بضرورتها على أنها حرب تحريك وهذا ما أشار إليه بنفسه .

لقد كانت حرب تشرين رداً على نكسات فرضتها علينا إسـرائيل مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب وربما كانت نقطة تحول في النضال العربي من خلال أخذها البعد القومي ، حين أشـترك فيهـا القطران العربيان السوري ، والمصري ، وقواتٍ عراقية شقيقة ، فـضلاً عن قطع النفط العربي بموقف عربي موحد .

لم تخض سورية معركة تشرين 1973 حباً بالحرب ولكن حباً بالسلم (نحن دعاة سلام ونعمل من أجل السلام لشعبنا وكل الشعوب وندافع اليوم من أجل أن نعيش بسلام) هذا ما قاله الرئيس الراحل حافظ الأسد حين خاضت سورية معركة تشرين .

بعد أيام قلائل من تسلّم الرئيس حافظ الأسد السلطة 1970 طرح ثانيةً تأكيد سورية على رفض القرار الصادر عن مجلس الأمن رقم / 242 / لأنه يعني لسورية تصفية القضية الفلسطينية ، لذلك فالحرب لا قرارات الأمم المتحدة هي الوسيلة التي ستجعل إسرائيل تعيد للعرب حقوقهم .

ولتهيئة سورية للحرب قام الرئيس حافظ الأسد بإنجاز مهام عدة كان لا بد من إنجازها على إعتبارها منطلقات أساسية تسبق الحرب وتأتي مسألة إزالة طوق العزلة الذي فرض على سورية قبل قيام الحركة التصحيحية على رأس تلك المهام ، وهذا ما جعل الرئيس حافظ الأسد يقوم بعد عشرة أيام من استلامه السلطة بالذهاب إلى القاهرة لعقد قمة مع السادات يعلن فيها رغبة سورية بالإنضمام إلى الاتحاد المقترح بين مصر ، و ليبيا ، و السودان مثلما عمل على فتح أبواب عربية أخرى أمام سورية كانت مغلقة ولاسيما مع لبنان ، وتونس ، والمغرب ثم السعودية التي أعادت فتح أنبوب النفط الذي ينقل النفط السعودي عبر سورية إلى المتوسط بعد أن كان مغلقاً قبل الحركة التصحيحية .

وفي شباط عام 1971 قام الرئيس حافظ الأسد بزيارة موسكو لإدراكه بأنها الدولة الوحيدة القادرة على مد سورية بالعون والسلاح . ونظراً لإدراكه طبيعة العلاقات السيئة بين سورية والأردن بسبب حوادث أيلول الأسود أتجه الرئيس حافظ الأسد إلى مصر وعدّها اختيار سورية الوحيد كحليف في الحرب وعلى جبهتين عريضتين ، فمصر

وسورية بنظر الرئيس حافظ الأسد تقفان معاً وتسقطان معاً .

فبدأت مسألة التخطيط للحرب منذ مطلع عـــام 1971 وتفاعلـــت المسألة مع اجتماعات القمة الاتحادية (اتحاد الجمهوريات العربية) وعين الفريق " محمد صادق " قائداً عاماً للجيشين معاً ، وتوصل الطرفـــان إلى وضع الخطوط الاستراتيجية للحرب ، وما بين عـــامي 1972- 1973 عملا على ملئ ترسانتهما من السلاح الـــسوفيتي ، وأقـــام الجيـــشان تدريبات عالية المستوى .(٤٢)

ولقد أخفى السادات عن الرئيس حافظ الأسد كل المباحثات السرية التي كانت تدور بينه وبين أمريكا ، إضافة إلى غشه في مسألة الخطـــط الحربيـــة التي كان متفقـــاً عليهـــا عند قيام الحرب ، فقبل المعركة كان هناك خطتان للحرب ، واحدة حقيقية وأخرى كاذبة ، وهما اللتان أطلق عليهما (غرانيت١ – غرانيت٢) وكانت غرانيت١ هي الخطة المصرية التي تهدف إلى عبور قناة السويس فقط ، وإحتلال مساحة ضـــيقة مـــن الأراضي على ضفتها الشرقية والإحتفاظ بها ، أمّا غرانيت ٢ فقد كانت تقول بالإستيلاء على ممري الجدي الواقعين على مسافة تتـــراوح بـــين (40 ـــ 50) كم شرقي قناة السويس ، ففي الوقت الذي كان فيـــه السوفييت وسورية يعملان على ترتيبات الخطة غرانيت٢ كانت مـــصر تعمل وتخطط على التحرك وفق الخطة غرانيت١ ولقد كشف الـــشاذلي هذه اللعبة الساداتية في مذكراته ، لكن الانتصارات السريعة التي تحققت في الأيام الأولى للحرب على الضفة ، وضغط سورية علـــى الـــسادات لمتابعة القتال دفعا السادات مجبراً إلى مواصلـــة القتـــال يوم 13 تشرين الأول ، وهذا ما جعله يخل على ما يـــبدو بالإتفاق مع أمريكـــا الـــتي قامت في اليوم نفسه بفتح جسر جوي مع إسرائيل لمدها بالسلاح اللازم لإعادة التوازن في الحرب .(٤٣)

عن اقتحام الجولان ، يقول الكولونيل " تريفوري دوبوي "* في كتابه الحروب العربية الإسرائيلية من 1947 إلى 1974 : في اليوم الأول من هجومهم المفاجئ الذي شنوه في الساعة الثانية من بعد ظهر السبت السادس من تشرين الأول – أكتوبر سنة 1973 أجتاح المصريون والسوريون حواجز إسرائيلية على جبهتي سيناء والجولان ، ففي واحدة من أبرز حالات العبور الجديرة بالذكر في تاريخ الحروب تم نقل مائة ألف جندي مصري وأكثر من ألف دبابة عبر قناة السويس ، حيث داهموا وحطموا خط بارليف بسرعة وأنشؤا خمسة مواقع دفاعية كنقاط انطلاق جديدة ، وفي الوقت نفسه زجّت سورية بخمسة وثلاثين ألف جندي وثمانمائة دبابة ضد التحصينات الإسرائيلية على مرتفعات الجولان فاجتاحوها في عدة نقاط وكادوا أن يصلوا إلى حافة الحرف المطل على بحيرة طبريا ونهر الأردن ، وتتحدث بعض الروايات بأن بعض الجنود السوريين شربوا من بحرية طبريا .

بدأ الهجوم في اليوم الأول بتمهيد مدفعي دام مدة ساعة أشترك فيه ما يقارب من / 900 / مدفع ، وانطلقت / 80 /طائرة لتوجيه الضربة الجوية إلى الأهداف المعادية المحددة .

في القطاع الشمالي انطلقت الفرقة السابعة لتعبر الخندق ، وبعد قتال مرير دام ثلاث ساعات ونصف تمكنت من فتح عدة ثغرات محصنة تحصيناً عالياً وقوياً ، وفي القطاع الأوسط قامت الفرقة التاسعة (مشاة) بالهجوم وعبرت الخندق المضاد ونفذت مهمتها . أمّا في القطاع الجنوبي فقد قامت الفرقة الخامسة باقتحام الخندق المضاد للدبابات ونجحت في ذلك ، وهكذا انتهت عمليات اليوم الأول بنجاح عظيم ، وتمكنت معظم القوات من اقتحام الخندق المضاد للدبابات واستولت على معظم

* الكولونيل " تريفوري دوبوي " مؤرخ عسكري أمريكي .

الموقع الأول المعادي . وقد تم أيضاً في اليوم الأول للمعركة اقتحام المعقل المعادي (المرصد) في جبل الشيخ من قبل الوحدات الخاصة بعملية أرضية جوية مشتركة وسقط المعقل بأقل من ساعة بأيدي القوات العربية السورية في معركة بطولية كبيرة ، كما نجحت في ليل اليوم نفسه بعض طلائع الدبابات في الاندفاع حتى مشارف نهر الأردن ، ومنها كتيبة الشهيد حمدان محفوظ التي نجحت في تدمير وإيقاف لواء دبابات للعدو على اتجاه محور جسر بنات يعقوب ، وقد أبيدت هذه الكتيبة على أخرها بإستثناء / 4 / دبابات في قتال دام طيلة الليل و أستمر حتى ضحى 7 تشرين ، وأستشهد معظم ضباطها وأفرادها .

ويصف المؤرخ العسكري الأمريكي دوبوي المعارك في اليوم الثاني من حرب تشرين قائلاً : أسوأ هزيمة في تاريخ الجيش الإسرائيلي . ففي اليوم الثاني (7) تشرين قام العدو بهجوم معاكس ، ولكن قواتنا تابعت تقدمها ولكن بخسائر كبيرة . كما تم احتلال تل الفرس بعملية إنزال جوي نظراً لأهمية الموقع ، وفي نهاية اليوم الثاني كانت قواتنا تحتل الخط شمال شرق بحيرة مسعدة والتخوم الشرقية للقنيطرة .

وفي اليوم الثالث (8) تشرين زج العدو في القتال معظم قواته بعد أن تأكد من أن الجبهة الأردنية لن تقاتل وبعد أن إطمان إلى ثبات جبهة القناة ، وتوقف القوات المصرية عن الاندفاع .

فقامت قواتنا طيلة يوم (9) تشرين بصد هجمات العدو المتلاحقة وفي ليل 9 / 10 تشرين إستقدم العدو إحتياطات جديدة ليتابع الضغط على قواتنا في صباح اليوم العاشر ، وأستمر العدو بقتال قواتنا في صباح اليوم العاشر من تشرين بهدف إخراجها من هضبة الجولان ، ومن ثم إعادة تجميع قواته بهدف الإنتقال للهجوم المعاكس ، وكانت كافة قواتنا في نهاية يوم (10) تشرين قد أنتقلت إلى مواقعها الدفاعية السابقة .

بعد إعادة تجميع العدو قواته واستكمالها في ليلة 10 / 11 تشرين انتقل إلى الهجوم المعاكس مركزاً على اتجاه القنيطرة – سعسع مع القيام بهجمات ثانوية على بقية القطاعات ، وفي نهاية اليوم تمكن من خرق مواقعنا في القطاع الشمالي ، وعندما اتخذت القيادة قراراً بهجوم معاكس رفض قائد اللواء / 12 / دبابات العراقي التنفيذ إلا إذا تلقى أمراً من قائد فرقته .

وفي يوم (13) تشرين أستطاع العدو تجميع قوة مدرعة غربي تل الشعار وتمكن من الضغط على قواتنا ، وفي نهاية اليوم كانت قواتنا تقاتل على مشارف مزرعة بيت جن ، وفي يوم (14) تشرين تمكن العدو من احتلال مزرعة بيت جن .

لقد انتهى زخم الهجوم الإسرائيلي على الجبهة السورية ابتداءً من صباح يوم 15 تشرين فاقتصرت العمليات فيه على التمسك بالمواقع وبذلت قواتنا أقصى الجهود لاسترداد النقاط الهامة .

وفي يوم (16) تشرين نفذت ضربة معاكسة بقوات صلاح الدين العراقية ، واللواء / 40 / الأردني إلا إن هذه الضربة لم تحرز نجاحاً بسبب الرميات المعادية التي تعرضت لها ، واضطرت هنا إلى التراجع أي قوات صلاح الدين .(٤٤)

وفي السادس عشر من تشرين الأول زار وزير خارجية الاتحاد السوفييتي الأسبق مصر ، وطلب من السادات قبول وقف إطلاق النار والاحتكام إلى القرار / 242 / وهذه كانت رغبة أمريكا أيضاً التي أرسلت كسينجر إلى موسكو للتشاور معه في الأمر .(٤٥) وفي (21) تشرين وبعد معرفة العدو بوجود قرار متبنى من قبل الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بوقف إطلاق النار قام بإنزال قواته على موقع جبل الشيخ حتى يحقق مكسباً عسكرياً تكتيكياً مع توقف إطلاق النار .

وبينما كانت قواتنا تخوض معارك طاحنة في جبل الـشيخ كانـت القيادة العامة تضع اللمسات الأخيرة على خطة الهجوم المعاكس الـذي خطط لتنفيذه .

وفي صباح (23)تشرين مجلس الأمن يصدر قراره رقـم / 338 / الذي كان مفاجأة لنا أخل بمبدأ التوازن الإستراتيجي للجبهة الـسورية والمصرية ، وهذا ما حدا بنا إلى وقف الإجراءات الخاصة بتنفيذ العمليـة الهجومية في الدقيقة الأخـيرة مـن الـساعة الخامـسة مـن صـباح 23 / 10 / 1973 .(٤٦)

لقد تقدمت كل من موسكو ، وواشنطن إلى مجلس الأمن بـالقرار / 338 / الداعي إلى وقف إطلاق النار ، فأعلنت سورية ومصر الموافقة عليه بينما واصلت إسرائيل هجومها على قناة السويس فاضطر مجلـس الأمن إلى اتخاذ القرار / 339 / والقرار / 340 / للضغط على إسرائيل .

وبموجب الاتفاق الأمريكي السوفييتي في مجلس الأمن طرحت فكرة مؤتمر جنيف الدولي ، الذي حدد موعد انعقاده في كانون الأول 1973 لتسوية التزاع في الشرق الأوسط سلمياً .

بعد ذلك سعت واشنطن إلى سياسة الخطوة خطوة ، والتفرد بكـل دولة على حده من أجل خلق تسوية على مزاج حكّام واشنطن .

وفي (18)كانون الثاني 1974 وافقت مصر بمـشاركة واشـنطن كيسنجر على اتفاقية سيناء الأولى لفصل القوات .

وبالرغم من إن المؤتمر الذي أنعقد في نهاية كـانون الأول 1973 في جنيف قد توقفت جلساته مبكراً تحت إلحاح واشنطن ، وإسرائيل فالمؤتمر استطاع أن يحقق بعض المكتسبات لأمريكا وإسرائيل معاً على الـصعيد العملي والدبلوماسي كان من أهمها :

- تحقيق لقاء عملي بين العرب ، وإسرائيل .

- عزل السوفييت عن التسوية في الشرق الأوسط .

- زيادة وتعميق حدة الخلافات بين العرب بسبب رفض الدول العربية ولا سيما سورية حضور المؤتمر ، وإدخال بذور الشك بين مصر والأردن ، واستغلت أمريكا حالة الضعف العربي لتوجيه رسالتين الأولى إلى السادات ، والثانية إلى الملك فيصل الأولى حملت معاني الابتزاز والثانية التهديد .

.. بعد ذلك اضطرت سورية لتوقيع اتفاقية فصل القوات مع إسرائيل واسترجاع القنيطرة وتحريرها .(٤٧)

وفي حديثه لـ (مجلّة الحوادث) في الذكرى / 24 / لحرب تشرين من العام 1997 أوضح العماد أول مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري ، وأبرز قادة تلك الحرب ، لقد أوضح بأن حرب تشرين مأثرة خالدة في تاريخنا بالدروس والعبر التي نؤمن بفوائدها المستمرة لأبناء شعبنا وأجيال أمتنا في العمل الكفاحي والصراع النضالي ضد تحديات الأعداء ، أما الشواهد فهي كثيرة .

- في مجال الهدف : تمسك سورية بالهدف السياسي لحرب تشرين هدف تحرير الأراضي العربية المحتلة بعدوان 1967 وتأمين الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني مما أدى إلى بقاء القضية حية وفي إطار اهتمام السياسة الدولية ، وقطع الطريق على العدو الصهيوني بتحقيق هدفه في حسم الصراع العربي معه لصالحه كما أدى إلى نشوء قناعة دولية مفادها، أن لا حل دون سورية التي رفعت شعار السلام العادل منذ حرب تشرين .

- التمسك بالأرض : حيث قدمت سورية نموذجاً للجماهير العربية عن إخلاصها للمبدأ ، وللشعب ، وللشهداء مما أدى لوضع حد لتدهور الوضع العربي ، ووقوف معظم العرب إلى جانب مساعيها ونضالها

لتحقيق سلام عادل وشامل ، وساعدها في حمل راية معركة السلام .

- التمسك بتحرير الأرض : جعل الولايات المتحدة تتقدم بمبادرة للسلام وفق صيغة مدريد التي قبلتها سورية ، ورفضتها إسرائيل .

- في مجال تأمين السلام : تمسك سورية بشعار التضامن العربي الذي تجسّد في حرب تشرين ، وتحرص كل الحرص على أن يبقى هذا الشعار سائداً في العلاقات العربية ، وأن يترجم دائماً في موقف نضالي قومي ثابت ضد الاستسلام وفي مواجهة إسرائيل .

- الاستمرار في رفع جاهزية قواتنا المسلحة وتزويدها بالأسلحة المتطورة ، ولم تأبه سورية لاعتراضات إسرائيل ولا للضجة التي افتعلتها بشأن الصواريخ ، وأكد الرئيس حافظ الأسد حرفياً : نحن بلد موجود في حالة حرب ونحتاج لوسائل الدفاع عن النفس ، فلماذا لا تكون لدينا صواريخ ؟ .[٤٨]

الفصل الخامس

الأطماع الإسرائيلية بمياه الجولان

تحدث كاتب أمريكي هو " توماس ستوفر " في الندوة الدولية حول إسرائيل والمياه العربية التي عقدت في عمّان آذار 1984 .. تحدث عن المياه العربية باعتبارها غنائم حرب بالمفهوم الإسرائيلي بعد عدوان 1967 واحتلال إسرائيل لمنابع نهر الأردن ، واليرموك ، وبانياس . يقول ستوفر في مداخلته التي ألقاها بعنوان (غنائم حرب) : إن أطماع إسرائيل في المياه العربية هي جزء من مفهوم إسرائيلي متكامل لسياسة الموارد التي تشتمل على النفط ، والمعادن ، والسباق التجاري والحصول على اليد العاملة الرخيصة والمواد الاقتصادية الأخرى بالإضافة إلى المياه . ولا بد من النظر إلى الأطماع الإسرائيلية من هذه الزاوية ، وإن تخلي إسرائيل عن الأراضي التي احتلتها عام 1967 يعني تخليها عن غنائم الحرب وأضاف قائلاً .. إن المنافع الاقتصادية في الشرق الأوسط تعرقل السلام ، وتشجع إسرائيل على العدوان ، لقد استنفذت إسرائيل مواردها المائية فمدت بصرها إلى الليطاني ، لقد كان الجانبان السياسي والعسكري للصراع العربي – الإسرائيلي كبيرين جداً بحيث إنهما طمسا الجانب الاقتصادي فمن خلال استغلال مياه الضفة وقطاع غزة ، وهضبة الجولان وفرت إسرائيل سنوياً مليارين دولار ثمن للمياه .[٤٩]

فكيف بدأت لصوصية المياه هذه ؟

لقد جاء في مذكرة تقدمت بها المنظمة الصهيونية العالمية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في باريس (3) شباط 1919 ما يلي :

إن جبل الشيخ هو أبو المياه الحقيقي بالنسبة لفلسطين ولا يمكن فصله عنها . وفي (16)شباط 1930 بعث ممثل الصهيونية الأمريكية " لويس برانديس " ببرقية إلى حاييم وايزمن يطلب فيها بإسم المنظمة الصهيونية الأمريكية أن تتدخل الحكومة البريطانية عملياً دون خسارة جزء كبير من فلسطين الشمالية ومما جاء في البرقية ((إن الحدود الشمالية لا غنى عنها ويجب أن تضم في الشمال مفارق مياه الليطاني وإلى الشرق سهول الجولان وحوران)) .(٥٠) لذلك فقد عمدت إسرائيل ومنذ نشوئها إلى تنفيذ سلسلة مشاريع ، ووضع خطط ، وتقديم مقترحات ترمي إلى السيطرة على المياه العربية ، سواء مياه وادي الأردن وروافده التي تنبع من سورية ولبنان ، أو مياه الأنهر التي تصب أو تنبع من لبنان وذلك تسهيلاً لإستيعاب الملايين من يهود العالم ، وجلبهم إلى فلسطين .

وفي العام 1938 وضع الخبير الأمريكي بشؤون الري والأراضي " والتركلى لوردملك " مشروعاً رئيساً يرمي ما يرمي إليه إلى الاستيلاء على نهر الليطاني في لبنان ، وتحويل مياهه عبر أراضي فلسطين إلى بحيرة اصطناعية تنشأ في سهل قرية (عرابة البطوف) الواقعة إلى الشمال من مدينة الناصرة لنقلها من هناك إلى أراضي النقب لريها وإصلاحها .

وفي العام 1948 تقدمت شركة يهودية من الحكومة اللبنانية في عهد الرئيس الفريد نقاش بمشروع خلاصته حصول هذه الشركة على امتياز لاستغلال مياه لبنان بما فيها نهر الليطاني ، وتزويد مدن لبنان

بحاجتها من الماء والكهرباء ، ثم تحويل ما يفيض بعد ذلك من مياه لبنان إلى فلسطين ، ولكنها رفضت هذا العرض إلا أن الجهود استمرت وتم الحصول على جزء من المياه اللبنانية بطرق غير مشروعة .(٥١)

وفي العام نفسه عملت إسرائيل على اغتصاب مياه الدول العربية المتاخمة لفلسطين المحتلة ، بما في ذلك مياه الضفة وغزة ، وبعد عام 1967 توسعت إسرائيل في هذا الأمر وعلى نطاق واسع بعد أن أصبحت الضفة الغربية تحت سيطرتها ، وبعد أن احتلت هضبة الجولان السورية ، وسيناء المصرية في تلك الحرب .

لقد بدأت إسرائيل منذ تأسيسها وحتى الآن في صراع مائي مع الشعب الفلسطيني ومع الدول العربية المجاورة ، وهو صراع شكل أحد أوجه الصراع العربي – الإسرائيلي الشامل ففي عام 1951 بدأت إسرائيل بتجفيف بحيرة الحولة ، وهي جزء من نظام مجرى نهر الأردن وأنشأت عدد من المعسكرات الصهيونية في مكانها وأهمها مستعمرة كريات شمونة ، وكانت لدى كل من الدول العربية ، والدولة الصهيونية تصورات خاصة لاستغلال مياه نهر الأردن .(٥٢) هذا النهر الذي يعتبر وروافده المصدر الوحيد للمياه في الأردن وإسرائيل ، لذلك تمثل مياه النهر أهمية حيوية عاجلة لكليهما ، كما أن مياه النهر لا تقل عن ذلك أهمية في سورية ولبنان لمواجهة حاجات التنمية الزراعية والصناعية ، وقد زادت الأهمية الاقتصادية والحيوية لموارد مياه نهر الأردن خاصة في الري وتوليد الطاقة منذ أن كتب دعاة الصهيونية يقولون : إن منطقة نهر الأردن من أخصب المناطق على وجه الأرض وهي تنتظر قدوم جنس ذكي خلاق لتعود إلى ما كانت عليه في الماضي ومن وقتها قام الصراع بين العرب والصهيونية على النهر إلى أن تحول إلى نهر دولي نتيجة لسياسة القوى الاستعمارية في العالم ومن وقتها بدأت مشكلات

نهر الأردن تظهر إلى الوجود ، وإلى أن قامت إسرائيل على أرض فلسطين وقد كان " هرتزل " في كتابه (الدولة اليهودية) هو أول من وضع أسس هذا المشروع .(٥٣)

وبعد أن تصادمت التصورات حول استغلال مياه نهر الأردن دفع الأمر الولايات المتحدة أثناء ولاية الرئيس الأمريكي إيزنهاور في بداية الخمسينات من القرن الماضي إلى حث الأمم المتحدة على وضع خطة موحدة لاستغلال مياه نهر الأردن ، في حين كان الأردن وضع خطته الخاصة التي أعدها مهندس أمريكي هو " بونجر " لاستغلال مياه نهر الأردن ، وتمكنت من إقناع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة (الأونروا) وحكومة الولايات المتحدة لتمويل مشروع على نهر اليرموك الذي هو أحد روافد نهر الأردن ، لكن إسرائيل اعترضت على الخطة الأردنية ، ثم عادت الإدارة الأمريكية لتجاهل هذه الخطة وتعلن عن ضرورة وجود مشروع تعاوني مشترك لاستغلال مياه النهر نزولاً على الرغبة الإسرائيلية ، وعندما اقتربت إدارة (وادى تينس) من إكمال الخطة الموحدة لاستغلال مياه نهر الأردن كانت إسرائيل قد بدأت فعلياً في بناء قناة خاصة قرب جسر بنات يعقوب في منتصف الطريق بين بحيرتي الحولة وطبريا لتحويل معظم مياه نهر الأردن إلى المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل ، وقد خلقت التصرفات الإسرائيلية أزمة مع الدول العربية ، ومع الولايات المتحدة التي تعرضت لموقف حرج بعد تجاهل إسرائيل لخطتها الموحدة لقسيم مياه الأردن مما أضطر الولايات المتحدة إلى تجميد مساعداتها حتى تتوقف عن أعمالها المنفردة على نهر الأردن ، ثم كلف الرئيس الأمريكي أحد مستشاريه وهو " أريك جونستون " بالتفاوض مع دول المنطقة لإقناعها بخطة موحدة لاستثمار الموارد المائية لنهر الأردن استناداً إلى

دراســـات وادى تينس التي تمت تحت إشــراف " تــشـــارلز مـــين " المهندس الأمريكي المكلف من الخارجية الأمريكية ووكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين ، وحدد المشروع الموارد المائيــة لنـــهر الأردن بنحو / 1213 / مليون متر مكعب وإقترح توزيع :

774	مليون متر مكعب للأردن
45	مليون متر مكعب لسورية
394	مليون متر مكعب لإسرائيل
-	لا شيء منها للبنان

وهو ما رفضته اللجنة الفنية العربية المكلفة من جامعة الدول العربيـــة بدراسة جونستون ، وقد أعترض العرب على أساس أن الخطـــة تعطـــي لإسرائيل ثلث إيراد النهر رغم أن الأراضي الواقعة تحت سيطرهما احتلالاً لا تغذيه إلا بنحو 23% من إيراده ، كما أن تحويل ميـــاه نهـــر الأردن لبحيرة طبريا قبل ضخها للأردن يعني أنه بدلاً من حصول الأردن علـــى مياه عذبة من نهر اليرموك فإنه سيحصـــل على ميـــاه درجة ملوحتهـــا عاليـــة من بحيرة طبريا ، وأشارت اللجنة إلى أن إيـــراد النـــهر يبلـــغ / 1429 / مليون م٣ وليس / 1213 / مليون م ٣ فاقترحت اللجنـــة توزيع الإيراد المائي لحوض النهر على النحو التالي :

132	مليون متر مكعب لسورية
35	مليون متر مكعب للبنان
977	مليون متر مكعب للأردن
285	مليون متر مكعب لإسرائيل

وبالمقابل قدمت إسرائيل مشروعاً مضاداً رفعت فيه حجم المياه المشتركة مع الدول العربية إلى / 2345 / مليون متر مكعب بعد أن أدخلت مياه نهر الليطاني في حساباتها رغماً أنه نهر لبناني صرف ولا علاقة لها به ، وطلبت أن يكون نصيبها / 1290 / مليون متر مكعب من مياه حوض الأردن والليطاني ، وعاد جونستون لتعديل خطته فرفع نصيب إسرائيل من المياه إلى / 565 / مليون متر مكعب مقابل خفض حصة الأردن إلى / 720 / مليون متر مكعب ، ولكن كل من العرب وإسرائيل رفضوا المشروع الأمريكي ، ومضت القضية في مسار صراعي مرتبط بحركة الصراع العربي – الإسرائيلي .

وتتشكل ملامح الأمر الراهن في استيلاء إسرائيل على كميات كبيرة من المياه من الضفة الغربية ومياه نهر الأردن ، والمياه السورية والمياه اللبنانية ، وحتى الكميات المحدودة من المياه التي وافقت عليها في اتفاقية التسوية السياسية مع الأردن على السماح للأردن بسحبها من بحيرة طبريا والبالغة / 30 / مليون متر مكعب سنوياً فإنها لم تفِ بتعهداتها مما عرض الأردن لحالة من العطش فلجأ إلى سورية التي قدمت له منحة مائية عام 1991 وقد أدى الموقف الإسرائيلي غير الملتزم بأي اتفاق إلى دفع الأردن إلى إحياء المشروع العربي المائي لإنشاء سد الوحدة على نهر اليرموك بالتعاون مع سورية مما يوفر للأردن / 120 / مليون متر مكعب من المياه مع اقتسام الكهرباء بنسبة 70% لسورية و 30% للأردن وتم بالفعل توقيع الاتفاق بين سورية والأردن بشأن السد الذي تصل سعته التخزينية إلى / 215 /مليون متر مكعب ، وتصل تكلفته إلى / 420 / مليون دولار .[٥٤]

وباستنفاذها الغالبية الساحقة من إمكانيات نهب المياه العربية بحثت إسرائيل عن موارد مياه خارجية ، فكانت تركيا ، وكان مجدداً أنابيب

السلام الذي دخل على دائرة الضوء منذ انطلاق مسيرة التسوية السياسية في العام 1991 .

- **مشروع أنابيب السلام :**

أصبحت المياه تُستغل باعتبارها أحد الأسلحة في الإستراتيجية التركية للعب دور إقليمي في المنطقة ، ومشروع أنابيب السلام طرحه رئيس الوزراء التركي " تورغوت أوزال " عام 1986 لإرواء ثمان دول عربية هي سورية ــ الأردن ــ قطر ــ السعودية ــ العراق ــ الكويت ــ البحرين ــ الأمارات ــ عُمان .

وفيما يلي المعلومات الأساسية حول المشروع كما هي مبينة بالجدول التالي :

طول خط الأنابيب	2000 كم
التكلفة	20 – 24 مليار دولار
التدفق م٣ يومياً	34 مليار
تكلفة الغالون الواحد	1.4 دولار
مصادر المياه	نهري سيحان وجيحان

وقد كشف وزير المياه في دولة الأمارات العربية المتحدة " العويس " إن خط أنابيب السلام المائية غير قابل للتنفيذ اقتصادياً ، لأن ثمن مد هذه الأنابيب سيكون أكثر ارتفاعاً من تكلفة إنشاء محطات تحلية مياه البحر كما إن تكلفة الغالون الواحد من مياه البحر بعد تحليتها تصل إلى 0.8 دولار ، بينما تصل تكلفة الغالون الواحد من المياه التركية الواردة عبر الأنابيب إلى 1.4 دولار .(٥٥)

ومن جملة نهب إسرائيل غير المشروع للمياه العربية ، والذي يتعارض

مع مبادئ القانون الدولي حول المياه ،كان هناك ما سمي بمشروع هضبة الجولان السورية المحتلة لاستغلال مياهه ، حيث تقسم هضبة الجولان من حيث المياه إلى ثلاثة أقسام :

١- المنطقة الشمالية : ويوجد فيها فائض مائي ، وتعاني من ضعف إمكانية نقل المياه والاستفادة منها .

٢- المنطقة الوسطى : وهي منطقة قليلة المستوطنات نسبياً ، وتصلح لإقامة خزان مائي لمياه الفيضان .

٣- المنطقة الجنوبية : وهي منطقة كثيرة الاستيطان ، تستخدم نظام ري باهظ التكاليف يقوم على ضخ المياه من بحيرة طبريا .

إستهلاك المياه في هضبة الجولان يصل إلى 46 مليون متر مكعب سنوياً موزعة على النحو التالي :

31.3	مليون متر مكعب في المنطقة الجنوبية
6.0	مليون متر مكعب في المنطقة الوسطى
8.7	مليون متر مكعب في المنطقة الشمالية [٥٦]

قبل ختام الفصل البحثي الموجز بالأطماع الإسرائيلية بالمياه العربية عموماً ، والسورية بشكل خاص والتابعة بشكل طبيعي للعام بشأن المياه على اعتبار إن تلك المياه تمر بالأراضي السورية بعضها ، ومنها ما هو يمر بالجولان بشكل خاص ، ويعتبر أحد المحاور الرئيسة للشبكة المائية فيه والتي تطرقنا إليها في الفصل الثاني من هذا الكتاب . لذلك فإن من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على الصراع على بحيرة طبريا الحق السوري الذي يراد به باطلٌ إسرائيلي لا أمل منه بالنسبة إليهم .

حيث استخلص كثيرٌ من المحللون بأن الصراع على بحيرة طبريا أصبح

جوهر الخلاف التفاوضي الأخير بين الجانب السوري والجانب الإسرائيلي ، فهناك من يقول بأن العقبة الرئيسية أمام التوصل إلى اتفاق سوري – إسرائيلي هي الخلاف على بضعة أمتار ، أو مئات من الأمتار من الأرض على الضفة الشمالية الشرقية لبحيرة طبريا ، ومنهم الصحفي البريطاني " باتريك سيل " بالإضافة إلى مسؤولون عرب ، وسوريون وفيما يلي عرضاً مفصلاً لهذا المحور :

كانت سورية عشية حرب 1967 موجودة على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبريا ، وكان صيادّوها يصطادون السمك في البحيرة وكان هناك بعض القرى الجولانية الصغيرة على الشاطئ (أزيلت كلها الآن) واستمدت مياهها من البحيرة ، وحسب المبعوث الأمريكي دينس روس فإن الرئيس حافظ الأسد قال للرئيس كلينتون : إنه سبح في البحيرة وقلى وجبة من السّمك على الضفة .

المطلب السوري الرئيسي هو إعادة الوضع الذي كان سائداً قبل حرب حزيران 1967 ومن هنا إصرار سورية على إعادة الوضع السابق أي انسحاب إسرائيل إلى خط 4 حزيران 1967 مقابل السلام ، وهذا هو موقف سورية وجوهره .

وبالمقابل لا تصر إسرائيل على التفرد بالسيادة والسيطرة على البحيرة فحسب بل أيضاً على ساحلها المباشر ، ثم عبره إلى مسافة تشمل الطريق الذي يمر حول البحيرة ، أي إن إسرائيل لكي تبعد سورية عن الطرف الشمالي الشرقي من البحيرة تريد تقديم خط الحدود بضعة مئات من الأمتار إلى الشرق ، وهو مطلب ترفضه سورية تماماً بالطبع .

وكما شرح الرئيس حافظ الأسد للقادة الأجانب خلال زياراهم إلى دمشق فإن أراضي الجولان ليست جوهرية لسورية على الصعيد الاقتصادي ، بل إنها رمز مُهم من رموز سيادها واستقلالها ، وإذا وافقت

على تسليم شبر واحد منها ، فما المانع من تسليم الكل .

هكذا نجد من زاوية القضيتين الحاسمتين ، السيادة على الشاطئ ووصول سورية إلى البحيرة ، بعداً كبيراً بين الموقفين .

لكن ما هي خلفية الخلاف التاريخي ؟

شكلت سورية وفلسطين تحت سلطة العثمانيين ، أي قبل الحرب العالمية الأولى منطقة جغرافية واحدة . وكانت فلسطين في النصف الثاني من القرن 19 جزءاً من ولاية الشام ، ثم أعاد العثمانيون خلال الثمانينات من القرن نفسه ترسيم الولايات ، واقتطعوا من ولاية الشام ولاية واحدة جديدة لبيروت ألحقوا بها القدس ، وكانت هناك حرية كاملة لنقل البشر والبضائع في كل الوحدات الإدارية التي تكونت منها سورية الجغرافية .

وكما يعلم الجميع فإن نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت تدمير الإمبراطورية العثمانية ، وتمزيق سورية الجغرافية وتعريض مناطقها للاحتلال ، وإخضاعها إليه من قبل القوى العظمى المنتصرة في الحرب وفي صيغة استعمارية مموّهة أعطت عصبة الأمم لبريطانية الانتداب على فلسطين ، ولفرنسا الانتداب على سورية ولبنان . بعدها دخلت القوتان اللتان كانتا تنظران الواحدة منهما إلى الخطط الإمبريالية للأخرى بارتياب في مفاوضات لرسم الحدود الدولية بين سورية وفلسطين .

كان إتفاق سايكس – بيكو المبرم أثناء الحرب في عام 1916 الذي قسّم المنطقة للمرة الأولى في مجالي نفوذ بريطاني ، وفرنسي وضع ثلثي بحيرة طبريا في القطاع الفرنسي أي في سورية ، وعدل ذلك في معاهدة أنكلو – فرنسية أبرمت في عام 1920 وضع بموجبها ثلثي البحيرة في القطاع البريطاني ، أي في فلسطين . لكن بريطانيا تعرضت بسبب إعلان بلفور الذي وعدت فيه أثناء الحرب بإقامة وطن قومي لليهود في

فلسطين لضغوط صهيونية مكثفة لكي تعدل الحدود مرة أخرى لمصلحة فلسطين ، كان الصهاينة يريدون وهم يخططون لإقامة دولتهم في المستقبل أن يدخلوا في فلسطين كل المستوطنات اليهودية ، وقبل كل شيء كانوا يريدون أن يسيطروا على الموارد المائية للمنطقة ، وبعد مزيد من المفاوضات الانكلو - فرنسية تم التوصل إلى حدود 1923 الدولية وبموجب هذا الاتفاق مدت حدود فلسطين لتشمل كلا ضفتي أعالي نهر الأردن ، إضافة إلى الشواطئ الشرقية لبحيرة الحولة وبحيرة طبريا ، وفي الزاوية الشمالية الشرقية من بحيرة طبريا رسمت الحدود على مسافة / 10 / أمتار فقط عن خط الماء .

ولكن تبين أن هذا الترتيب لم يكن عملياً ، كانت هناك سبع قرى سورية على مقربة من البحيرة وتعتمد عليها ، ولم يكن بالإمكان أن تعزل عن البحيرة على مسافة / 10 / أمتار ، وهكذا أبرمت بريطانيا وفرنسة في 1926 اتفاق حسن جوار أعطى القرى السورية منفذاً إلى البحيرة ، وفي الواقع احتفظت سورية بمنفذ إلى الزاوية الشمالية الشرقية حتى احتلال إسرائيل للجولان عام 1967 .

من نافلة القول يؤكد باتريك سيل بأن سورية لا تقبل في الوقت الحاضر بحدود 1923 الدولية أي التي رسمتها الإمبريالية على الخريطة العربية ، فهي حسب وجهة النظر السورية فرضتها على المنطقة قوى أجنبية ، وهو ما جرى فعلاً ، ولم تكن لسورية المستقلة يد في ذلك والحدود الوحيدة المقبولة بالنسبة إلى سورية هي خط الرابع من حزيران 1967 أي الخط الذي كانت سورية تحتفظ به وتدافع عنه عشيّة حرب حزيران .[٥٧]

مراجع الباب الأول

١. خير ، صفوح – إقليم الجولان – ص 22
٢. دراسات اشتراكية – الجولان – ص 25 - 26
٣. خير ، صفوح – إقليم الجولان – ص 30
٤. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 27
٥. المرجع السابق – ص 102
٦. مجلة العربي – العدد (437) – الجولان – ص 45
٧. دراسات اشتراكية – الجولان – ص 24
٨. محافظة القنيطرة – ص37
٩. دراسات اشتراكية – الجولان ص 24
١٠. مجلة العربي – العدد (437) – الجولان – ص 45
١١. تقرير إذاعي – الجولان – خليل الخليل
١٢. دراسات اشتراكية – الجولان – ص 10
١٣. خير ، صفوح – إقليم الجولان – ص 63 – 64
١٤. راتب ، عائشة – العلاقات العربية الدولية — ص 235 - 236
١٥. خير ، صفوح – إقليم الجولان – ص 70
١٦. محافظة القنيطرة – ص 23
١٧. الموعد ، حمد سعيد – حرب المياه في الشرق الأوسط – ص 62
١٨. دراسات اشتراكية – الجولان – ص 12 - 13
١٩. جريدة قضايا – العدد (117) – اعرف وطنك – ص 10
٢٠. محمود ، معين احمد – الجديد في العسكرية الإسرائيلية – ص 50

٢١. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 169
٢٢. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني – ص 69
٢٣. الخالدي ، كمال – الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني – ص 126
٢٤. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 65
٢٥. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني – ص 70
٢٦. الدجاني ، هشام – الإدارات الأمريكية و إسرائيل – ص 88
٢٧. كوانت ، وليم– عملية السلام – ص 59 - 60
٢٨. البدري ، طاهر – القدس بداية النهاية لدولة إسرائيل ص 38
٢٩. نصور ، أديب – النكسة و الخطأ – ص 135 - 138
٣٠. مصطفى ، نادية – الفكر الإستراتيجي – ص 88
٣١. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 66
٣٢. كوانت ، وليم– عملية السلام – ص 66
٣٣. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص67 - 68
٣٤. بيربروجلو ، بيرش – اضطراب في الشرق الأوسط – ص 138
٣٥. الخالدي ، كمال – الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني – ص 130 - 131
٣٦. المرجع السابق – ص 133
٣٧. إستراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية – ص 60 – 61 - 62
٣٨. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 174 - 175
٣٩. إستراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية – ص 64
٤٠. محافظة القنيطرة – ص 82 - 83
٤١. مجلة العربي – العدد (437) – الجولان – ص 50
٤٢. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 81
٤٣. المرجع السابق – ص 87
٤٤. بيلونة ، عدنان مصطفى – القائد الأسد و الأمن القومي – ص 550

٤٥. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 89

٤٦. بيلونة ، عدنان مصطفى – القائد الأسد و الأمن القومي – ص 550

٤٧. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 89

٤٨. مجلة الحوادث – ص 40 ــ العام 1997

٤٩. الموعد ، محمد سعيد – حرب المياه في الشرق الأوسط – ص 15 - 16

٥٠. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 168

٥١. مجلة المجلة – العدد (836) – ص 25

٥٢. حبش ، جاد – من داخل إسرائيل – ص 130 - 131

٥٣. راتب ، عائشة – العلاقات العربية الدولية ص 237 - 238

٥٤. حبش ، جاد – من داخل إسرائيل – ص 136

٥٥. الموعد ، محمد سعيد – حرب المياه في الشرق الأوسط – ص 158

٥٦. المرجع السابق – ص 69

٥٧. باتريك سيل – مقال بعنوان : الصراع على بحيرة طبريا .

الباب الثاني

الفصل الأول

نشأة إسرائيل

الفصل الثاني

إسرائيل .. أحزاب ، حركات سلام

الفصل الثالث

عشيّة مؤتمر السلام في مدريد

الفصل الرابع

الموقف السوري من عملية السلام

الموقف الإســـرائيلي منها

الفصل الخامس

بدء أعمال المؤتمر ، وخلاصة المرحلة الأولى

من المفاوضات العربية - الإسرائيلية

الفصل الأول

نشأة إسرائيل

عاش يهود المشرق الإسلامي على مدى ما يقرب من ألف ومائتي عام تحت حكم الإسلام ، وأطلق عليهم طيلة هذه الفترة اسم أهل الذمة وكان يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية في مقابل الجزية التي كانوا يدفعونها للسلطات التي كانت تقوم بحماية ممتلكاتهم ، واتسّمت علاقة اليهود بالمجتمع المحيط بهم بقدر كبير من الاستقرار ، وكان استقرار اليهود في أي بلد من البلدان يرتبط إلى حد كبير بمدى استقرار السلطة وبمدى تأثير رجال الدين ، وبمدى قرب اليهود من السلطة . وكان وضع يهود الشرق أفضل بكثير من وضع يهود أوروبة الذين اضطهدوا لأسباب سياسية ، واقتصادية ، ودينية فكثيراً ما كانوا يطردون من البلدان التي أقاموا فيها ، في حين لم يتعرض يهود بلدان الشرق لنفس المصير . (١) لقد نعم يهود البلدان الإسلامية والعربية بالتسامح مما أتاح لهم فرصة الاندماج في مجتمعاتهم ، لقد بلغت حملات اضطهاد اليهود في أوروبة ذروتها ، وتعرضوا للمذابح في روسيا ، وألمانية وبالتالي فإن البلدان العربية والإسلامية هي التي دفعت ثمن اضطهاد الغرب لليهود عندما شكل هذا الاضطهاد مبرراً معنوياً للغرب لتجميع اليهود في دولة واحدة أصبحت فيما بعد تدعى إسرائيل ، أما المجتمع الغربي الذي تسبب بوجود إسرائيل فقد تنصل وألقى بجريمته على أكتاف الأمة العربية .

وبالنسبة للحركات القومية في الشرق ، فقد تمثلت أهداف الحركات

القومية في الشرق في التخلص من النظم الملكية المركزية ، أي السلطة العثمانية ، ومن سيطرة الدول الغربية على سائر دول الشرق ، ولم يكن لهذه الحركات أية توجهات معادية لليهود .

لكن ظهور الحركة الصهيونية ، ونشوب التراع العربي – الإسرائيلي أدى إلى ظهور تناقض صارخ بين مصالح الحركة القومية والحركة الصهيونية أدت هذه الظروف إلى تدهور العلاقات العربية – اليهودية ليس فقط في فلسطين ، وإنما في كل أنحاء الدول العربية والإسلامية التي كانت قد انتشرت بها الأفكار القومية .

وتزايدت حدة التناقضات بين مصالح الطرفيين إبان الحرب العالمية الأولى ، أي بعد وعد البريطانيون الشريف حسين بتحرير البلدان العربية من الحكم التركي ، وتنصيبه ملكاً لكل هذه البلدان ، وبعد أن وعدوا اليهود في نفس الوقت بمنحهم حق إقامة وطن في فلسطين في وعد بلفور عام 1917 ونتيجة لرغبة الأمير فيصل بن الشريف من التقرب إلى البريطانيين والحصول على حق السيطرة على كل البلدان العربية فلم يكن على استعداد لتأييد فكرة إقامة كيان يهودي في فلسطين ، والدعوة للتعايش العربي اليهودي فقط ، بل كان مستعداً أيضاً للنوقيع على الميثاق المشهور الذي وقعه مع حاييم وايزمان في الثالث من يناير عام 1919 والذي جاء فيه : وبعد أن يتم الانتهاء من محادثات مؤتمر السلام سيتم رسم الحدود بين العرب وإسرائيل ، وبعد أن يتم تحديد الدستور الخاص بفلسطين ، وإقرار كل المراسيم الإدارية الخاصة بها سيتم اتخاذ كل الإجراءات التي من شأنها ضمان تنفيذ التصريح الذي أدلت به بريطانيا في الثاني من شهر نوفمبر عام 1917 وسيتم اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لتبني وتشجيع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين .(٢)

لقد وجدت بريطانيا في الاعتماد على اليهود منذ النصف الأول

للقرن التاسع عشر الركيزة التي ستحقق لها الحفاظ على طريق الهند في المنطقة ، مع أن مخططاتها تجاه مسألة الاستيطان اليهودي في فلسطين قد تغيرت في فترات زمنية متفاوتة ، ولا سيما بين 1830 – 1840 وهي مرحلة امتداد دولة محمد علي باشا ، ومحاولته ملء الفراغ الذي بدأ يتركه الرجل المريض (تركيا) في المنطقة ، ثم الفترة الممتدة بين احتلال بريطانيا لمصر عام 1882 وصولاً إلى مشروع سايكس- بيكو . ففي فترة محمد علي باشا وأبنه إبراهيم كانت محافل بريطانيا تدعو إلى بعث صهيوني في فلسطين ، وكان ذلك بفعل ارتباط مشروعاتها الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط إبان الهزة السياسية التي أحدثها محمد علي باشا في محاولته إقامة مشروع الدولة العربية الكبرى بين 1830 – 1840 .

أما بعد احتلال بريطانيا لمصر راحت تبحث عن مواقع أخرى لملئ الفراغ الحاصل ، مواقع في بعض ممتلكاتها الاستعمارية مثل أوغندة ، أو غزة في مصر أو .. الخ . غير إن تغّير الأوضاع في العالم إبان الحرب الكونية الأولى ، وبروز الفرصة لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية أعاد بعث مشروع الإمبريالية البريطانية القديم .(٣)

كتب " ناحوم سوكولوف " أحد كبار مؤسسي الحركة الصهيونية يبرز الصلة بين محاولة إقامة الدولة العربية الكبرى ، وتبني الكولونيالية البريطانية الفكرة الصهيونية من قبل أن تنشأ منظمة صهيونية ، أو يضع أساسها إيديولوجي يهودي ، فأكّد .. ((ونشأت بعد تدخل الدول الأوربية لإنقاذ الإمبراطورية العثمانية ، وإعادة قوات إبراهيم باشا إلى مصر مسألة فلسطين ، هل كانت ستبقى في يد تركيا ؟ أم هل كانت بريطانيا العظمى ستفوز بالأماكن الهامة ؟ وكان السائد في الرأي العام البريطاني ضم عكا ، وقبرص إلى

الإمبراطورية البريطانية ، فبريطانيا وقد احتلت موقع عكسا الحصين الذي لا يقهر كانت لا تضطر إلى السعي لضمان حرية الطريق إلى الهند من أي دولة أخرى ... ثم أورد أمثلة عديدة على ساسة بريطانيين نادوا باستيطان اليهود في فلسطين)) .[٤]

في أواخر القرن التاسع عشر ، وفي شهر آب عام 1897 نجح الناشط اليهودي تيودر هرتزل في عقد مؤتمر يهودي في مدينة بال في سويسرا انبثقت عنه الحركة الصهيونية .

ارتكز المشروع الذي أقره المؤتمر الصهيوني الأول في بال سويسرا 1897 على ما يلي :

١- توفير الاعتراف الدولي بالحركة الصهيونية ، وأهدافها .

٢- تقوية الشعور بالوعي اليهودي وتغذيته .

٣- تنظيم اليهود في العالم ، وربطهم بمنظمات محلية ودولية .

٤- تشجيع الهجرة إلى فلسطين ، واستثمارها في العمل الزراعي والصناعي ، وإقامة بنى اجتماعية وسياسية وعسكرية فيها .

٥- لعب دور أكبر في سياسات الدول التي توجد فيها جاليات يهودية ، ولاسيما في الدول ذات التأثير الدولي .

في المرحلة الأولى التي استمرت عقدين من الزمن حققت الصهيونية نجاحاً كبيراً بسبب العوامل التالية :

١- التخطيط المسبق للأهداف ، وتحديد الوسائل والعمل على توفيرها .

٢- التنظيم الدقيق للانتشار اليهودي في العالم ، وتوظيفه لخدمة الأهداف الصهيونية بحيث لا يبقى جزء من الانتشار خارج دائرة الفعل.

٣- الدعم غير المحدود الذي قدمته بريطانيا بصورة

خاصة والمبنى على رؤية بريطانية لدور الدولة اليهودية في حماية مصالحها في الشرق الأوسط ، وفي إشغال العرب واستنزافهم .

٤- وضع العرب في ظل الدولة العثمانية ، وعدم إدراك الناشطين العرب من أجل الاستقلال خطورة الدعوة الصهيونية والعلاقات القائمة بينها وبين بريطانيا ، وبعض الدول الأوربية الأخرى .

٥- الوجود الاستعماري في أجزاء واسعة من الوطن العربي آنذاك فرنسا في المغرب العربي ، وبريطانيا في مصر والسودان والخليج العربي .

في هذه المرحلة حققت الحركة الصهيونية إنجازها الأول عن طريق العمل على دعم لإقامة الدولة من خلال الوعد الذي أطلقه وزير الخارجية البريطانية " أرثر بلفور " في الثاني من تشرين الثاني 1917 .

وفي المرحلة الثانية التي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الأول وانتهت بإعلان إسرائيل في منتصف أيار 1948 نشطت الحركة الصهيونية بالاتجاهات التالية:

١- دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين ، والإفادة من الرعاية البريطانية (السلطة المنتدبة) على فلسطين ، وتنظيم المنظمات العسكرية وبناء المستوطنات .

٢- جمع الأموال لتوفير احتياجات المهاجرين الذين كانت الوكالة اليهودية تنقلهم إلى فلسطين .

٣- ومع نشوب الحرب العالمية الثانية نشطت المنظمات الصهيونية في العمل لمصلحة الحلفاء ، وتطوع عدد كبير من اليهود في صفوف القوات الحليفة التي كانت تحارب دول المحور ألمانيا ــ إيطاليــة ــ

اليابان .

٤- وخلال الحرب الثانية ركزت القيادات اليهودية جانباً من أعمالها في الولايات المتحدة إدراكاً منها للدور القيادي العالمي المقبل لهـذه الدولة العظمى .

٥- زج أكبر عدد من اليهود في المؤسسات الإعلاميـة ، والماليـة الغربية للتأثير على الرأي العام في الغرب .

٦- الاستفادة القصوى من الجرائم التي ارتكبتها النازية .

وفي تلك المرحلة عقدت الحركة الصهيونية مـؤتمراً لهـا في مدينـة نيويورك عام 1942 واتخذت جملة من القرارات أهمها :

١- إقامة دولة إسرائيل في فلسطين ، والأردن إذا أمكن .

٢- تهجير الفلسطينيين إلى العراق .

٣- السيطرة على الشرق الأوسط والإمساك بزمام أموره .

وهكذا حدد المؤتمر الإستراتيجية المرحلية للحركة الصهيونية أولهـا إقامة الدولة ، والسيطرة على الشرق الأوسط ، وإفراغ فلسطين مـن سكانها ونقلهم إلى العراق .

وغداة انتهاء الحرب العالمية الثانية نشطت المنظمـة الـصهيونية في فلسطين بهدف الإعداد لإعلان دولتهم المزعومة ، وشنت حرباً داميـة ضد الفلسطينيين لدفعهم إلى الهجرة وازداد العنف عـام 1947 ضـد العرب إثر إعلان بريطانيا قرارها بإنهاء الانتداب مما دفع حكومات مصر وسورية ، والعراق ، ولبنان ، والأردن إلى إرسال قوات لمنـع تـصفية الفلسطينيين من المنظمات الصهيونية الإرهابية .

وفي عام 1948 منتصف أيار تم الإعلان عن تأسيس دولة إسـرائيل حيث سارعت الدول الكبرى إلى إعلان الاعتـراف بها ، وهكذا بدأت المرحلة الثالثة في المشروع الصهيوني .

وفي هذه المرحلة ركّزت الدولة اليهودية ومنظماتها على ما يلي :
١- التطهير العرقي من خلال القيام بأعمال عدائية ودموية ضد السكان العرب دون النظر إلى أي اعتبار أخلاقي ، أو أنساني وأتت هذه الأعمال في إطار مزاعم ما جاءت به الكتب الدينية اليهودية من حق اليهود باستخدام العنف ضد غير اليهود .
٢- تثبيت الدولة وتوفير الاعتراف الدولي بها ، والعمل على تأمين متطلبات نموها الاقتصادي والعسكري ، ودفع اليهود للهجرة إليها لتسريع عملية زيادة السكان التي تشكل عاملاً مهماً في توفير متطلبات البقاء والدفاع والنمو .
٣- الإعلان عن الاستعداد للتفاوض مع العرب بصورة منفردة على أساس الاعتراف بالدولة اليهودية وشرعيتها ، والتخلي عن المطالبة بالحقوق الوطنية الفلسطينية .
٤- توفير الدعم الغربي لها ولاسيما الدول الغربية .
ولتحقيق هذه الأهداف عمل الإسرائيليون ما يلي :
١- شن حملة واسعة ضد الجرائم النازية بهدف خلق عقدة الذنب لدى الشعب الألماني وقد نجحوا في ذلك ، وتوصلت الحكومة الإسرائيلية ، وحكومة ألمانيا الاتحادية إلى اتفاقية التعويضات عن اليهود الذين تعرضت لهم النازية بالتصفية ، أو الاعتقال وشكل الدعم الألماني المالي لإسرائيل السند الأساسي في بناء اقتصادها ومستوطناتها ، ومدنها وصناعتها وقوتها العسكرية .
٢- الإفادة من الحرب في الجزائر بين جبهة التحرير الجزائرية والقوات الفرنسية ، حيث كان العرب وفي مقدمتهم سورية ومصر يقفون إلى جانب الثورة الجزائرية فوجدت إسرائيل لنفسها مكاناً لتتحالف مع فرنسة تحالفاً برز في العدوان الثلاثي على مصر في

خريف عام 1956 وحققت إسرائيل مكاسب كبيرة عبر المساعدات الفرنسية لبناء القوة العسكرية ، والنووية ، والعلمية للدولة اليهودية .

٣- وبحكم الدور الذي رسمه الغرب للدولة اليهودية فقد كانت إسرائيل في قلب التحالف الغربي ، وقطفت ثمار هذا التحالف من معظم الدول الغربية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وساعدها موقعها على إقامة اتصالات مع الأردن ، والعراق في العهد الهاشمي وتعاون واسع مع شاه إيران .

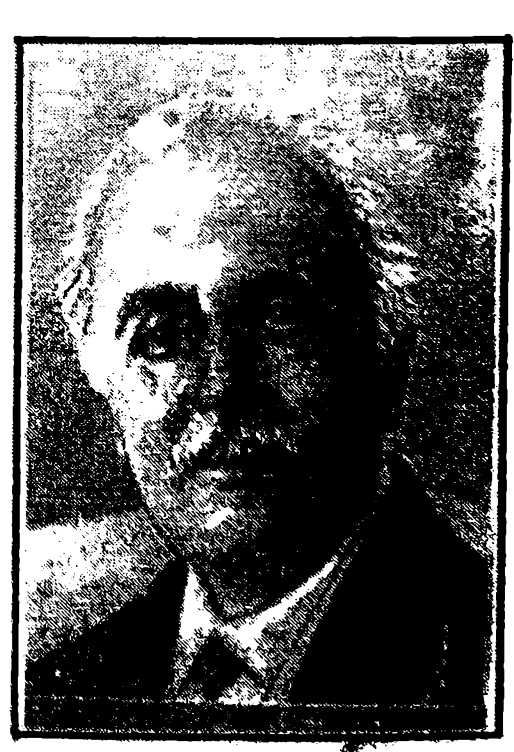
٤- محاصرة العرب ولا سيما قوتي المجابهة الرئيستين سورية ومصر ثم العراق بعد ثورة تموز عبر الضغوط الغربية لمنع توريد الأسلحة لكل من مصر وسورية في الوقت الذي كانت تصب الإمدادات العسكرية عليها من معظم دول الغرب ولا سيما فرنسا .

خلال هذه المرحلة عملت إسرائيل على بناء قوتها العسكرية والاقتصادية وبناء المستوطنات . وفي الوقت نفسه تابعت سياساتها الاستفزازية بهدف اغتنام أية فرصة لتوسع جديد ، وقدمت نفسها لاعباً إقليمياً رئيساً من خلال مشاركتها في العدوان الثلاثي على مصر مع كلٍ من بريطانيا وفرنسا مؤكدة للغرب إنها القوة التي يمكن الاعتماد عليها لحماية مصالحه .

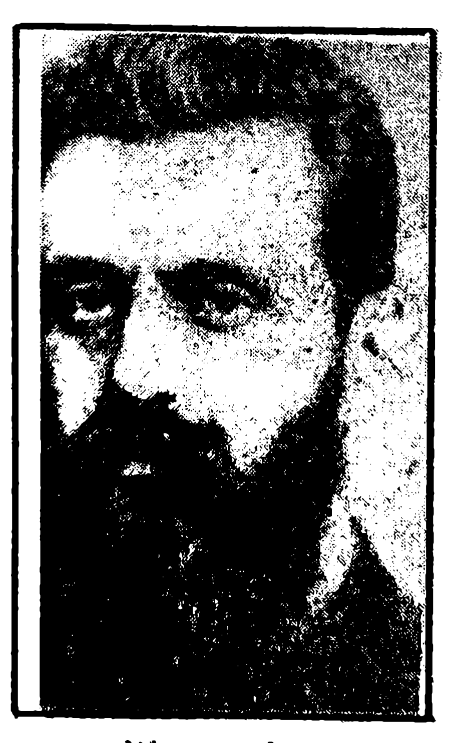
وبعد عدوان حزيران 1967 بدأت المرحلة الرابعة من المشروع الصهيوني بعد أن نجحت القوات الإسرائيلية باحتلال سيناء والضفة الغربية ، وغزة ، والجولان وألحقت ضربة سياسية وعسكرية بالعرب عامة وبسورية ومصر بصورة خاصة .(٥)

كان المشروع الصهيوني بريطاني المولد والنشأة احتضنته فيما بعد هي وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن نافذة تاريخيه ننقل التعاطف الأمريكي الذي عبر عنه الرئيس ترومان وفي أكثر من مناسبة عن إعجابه

الشخصي ، وتعاطفه مع المشروع الصهيوني ففي رسالة كتبها إلى وزير خارجيته " جورج مارشال " في 17 تشرين الثاني 1947 بشأن موقفه من إسرائيل يقول ترومان : إنني أرغب في أن نساعد في بناء دولة قوية غنية وحرة ، وديمقراطية في فلسطين وهذه الدولة يجب أن تكون واسعة وحرة وقوية بدرجة كافية لجعل شعبها مستقلاً وآمناً .كما كتب إلى " حاييم وايزمن " أول رئيس إسرائيلي بمناسبة الذكرى الأول لصدور قرار التقسيم ، كتب يقول : أود أن أخبرك بمدى السعادة والتأثر الذي أشعر بهما للتقدم الفريد الذي حققته دولتكم الجديدة ، والذي يرجع الفضل فيه لكم أنتم أكثر مما يرجع لأي جهد أخر ، وإنني على ثقة من أنه لازال لديكم أكثر مما أعطيتم وأكثر مما قدّم العالم لكم ، وهو ما يجعلني شديد الإعجاب بكم .(٦) ومن أكثر من نافذة في تاريخ الأمس وكذلك الحاضر ، وحتى المستقبل يمكن أن نستشهد بمليون حالة تعاطف ومواقف تأييد لهذا الكيان المغتصب لحقنا ... ولكن إلى حين .



آرثر بلفور





تيودور هرتزل

الفصل الثاني

إسرائيل .. أحزاب ـــ حركات سلام

تتميز الأحزاب الإسرائيلية (معظمها) بأنها امتداد لمؤسسات استيطانية كانت قائمة قبل إعلان قيام إسرائيل في عام 1948 وغالبيتها أحزاب صهيونية متبنية كل ما أمكنها تبنيه من الدين إلى الإيديولوجيا معتمدةً أساليب براجماتية رافعةً شعارات مضللة مثل : أرض الميعاد الرواد ـــ التعمير ـــ التمدين ـــ الاشتراكية الصهيونية ـــ العمل التعاوني ويتسم النظام الحزبي بعدة سمات منها :

١- كثرة الأحزاب وتوالي الانشقاقات ، وبالذات قبيل الانتخابات .

٢- تعدد الأدوار والوظائف للحزب ، والمهام أيضاً والتي يخرج قسم منها عن الدور السياسي للحزب .

٣- إن جل أحزاب إسرائيل أحزاب إيديولوجية من صهيونية حتى يهودية توراتية ، أو علمانية فكلها تقف على أرض المشروع الصهيوني الإسرائيلي – اليهودي التوراتي .

وبناءً عليه يمكن تصنيف الخريطة الحزبية الإسرائيلية إلى :

أولاً : معسكر اليسار :

وتندرج فيه القوى السياسية التي تدعوا إلى سلام مع الفلسطينيين والعرب ، لكن قائم على الانسحاب من بعض الأراضي المحتلة عام

1967 ومن هذه القوى السياسية :

ـــ حزب العمل : والذي يعود تأسيسه إلى العام 1968 وهو حزب اشتراكي ديمقراطي صهيوني ، وقد تم تشكيله من ثلاثة أحزاب عمالية هي : مباي ، رافي ـــ أحدوت عمفورا ـــ يوعالي تسيون .

وقد ترأس هذا الحزب بن غوريون ، أشكول ، جولدامائير إسحق رابين ، شيمون بيريز ، إيهود باراك ، ويترأسه الآن عميرام ميتسناغ 2003 وقد أستلم حزب العمل السلطة منذ الكنيست الأول عام 1949 وحتى الكنيست التاسع عام 1977 وقد عجز بعد ذلك التاريخ الانفراد بالسلطة إلا إنه تناولها مع حزب الليكود ، أو بالتحالف معه .

وحزب العمل يمثل الصفوة الأشكنازية (المستوطنين الغربيين) ويمثل صفوة القيادات العسكرية . ومازال حزب العمل ذا أغلبية ونفوذ في المدن الحديثة والصناعية ، وفي المزارع ذات الملكية الجماعية (الكيبوتزات) كما يمثل القادة العسكريين ما نسبته 50% إلى 75% في مسيرة قيادات الحزب حتى الآن .

والرؤية الحاكمة لحزب العمل الإسرائيلي تجاه أمن إسرائيل وتقدمها تمثل النهج المتمسك بثوابت الصهيونية في التوسع والاستيطان والترحيل القهري للعرب ، والتقدم العلمي ، وتحديث الاقتصاد والعدالة الاجتماعية ، والرخاء دون الدوجمائية مع التعامل العقلاني لمتغيرات البيئة الدولية ، بالإضافة إلى المرونة في الوصول إلى الهدف .(٧)

ـــ حزب ميرتس : وقد تشكلت ككتلة برلمانية في مارس / آذار 1992 عشية انتخابات الكنيست الثالث عشر التي جرت في ذلك العام وتشكلت ميرتس من تكتل ثلاثي هو ميام ـــ راتس ـــ شينوى .

وقد خاضت ميرتس إنتخابات الكنيست عام 1992 على أساس

برنامج دعا إلى :

١- اعتراف إسرائيل بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره في الضفة – غزة .

٢- استعداد إسرائيل لحل وسط متفق عليه في الجولان .

٣- القدس عاصمة لإسرائيل .!!

ـــ شينـــوى : فأسس عام 1974 وهو حزب صهيـــوني ليـــبرالي وقد ولد هذا الحزب إثر حرب 1973 وبعد انتشار الشعور بالتقصير في إدارة الحرب ، وتقترب بشكلٍ عام رؤية حزب شينوى من رؤية ميرتس السابقة الذكر .

ثانياً : معسكر اليمين :

وتندرج فيه القوى السياسية الرافضة للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة عام 1967 ومن هذه القوى السياسية :

ـــ حزب الليكود : ويعود تشكيل حزب الليكود إلى العـــام 1973 إثر حرب تشرين ، ومن جراء الهزة التي تعرضت لها إسرائيل على يـــد حزب العمل الإسرائيلي ، وقد أصبح مناحيم بيجن زعيمـــاً للحـــزب المكون من (حيروت ـــ الأحرار) وقد برز حزب الليكود كمنـــافس حقيقي لحزب العمل في انتخابات الكنيست الثامن 1973 .

ووقوفاً على مواقف حزب الليكود وفيما يخـــص قـــضايا الـــصراع العربي - الإسرائيلي من الكنيست عام 1977 إلى الكنيست عام 1999 فإنه يمكن إيجازها بالآتي :

١- سيادة كاملة بين البحر ، ونهر الأردن ، أرض إسرائيل للـــشعب اليهودي .

٢- القدس الموحدة عاصمة أبدية لشعب إسرائيل .

٣- الاستيطان يشمل أنحاء إسرائيل .

٤- مفاوضات مباشرة ، ومعاهدات سلام تـضع حـداً للحـرب (حسب مفهومهم للمفاوضات وكذلك لشكل السلام) .

ولتكتل الليكود مجال حيوي لأتلافه في الأحزاب اليمينيـة الأكثـر تشدداً مثل (تسومنت ــ الطريق الثالث ــ موليديت ــ تكوما) ومن أبرز وجوه تكتل الليكود مناحيم بيجين ، إسحق شامير ، ديفيد ليفـي ارئيل شارون ، بنيامين نتنياهو ، موشيع أبينتر .(٨)

ثالثاً : المعسكر الديني :

وتندرج في هذا المعسكر القوى الدينيـة الـصهيونية منـها وغـير الصهيونية ، وفي إسرائيل خمسة أحزاب دينية هي : أغودات إسـرائيل (اتحاد التوراة) ــ دوجيل هاتوراه (راية التوراة) ــ شاس (الشرقيون المواظبون على أداء الفرائض) ــ المفدال (الحزب القومي الديني) ــ حزب ميماد .

وهذه الأحزاب جميعهـا خرجت من عباءة أغـودات إسرائيـل خلال الخمسين سنة الماضية ، وما يجمع بين هذه الأحزاب هو مكافحة العلمانية ، وتطبيق الشريعة اليهودية (الهالاخا) أي إقامة دولة ثيوقراطية تستمد شرعيتها من الله لا من الشعب ، لذلك فهي تـرفض حقـوق الإنسان بذريعة أنها مستوردة من الغرب الذي يعتبره الأصوليون اليهـود مصدر جميع الشرور .

استطاعت الأحزاب الدينية أن تحصل على 23 مقعداً في الكنيـست في العام 1996 مما أثار فزع التيار العلماني الذي رأى في ذلـك بدايـة تهويد إسرائيل أي تطبيق الشرائع التوراتية علـى سـكانها ، ورغـم أن المتدينون وحسب المحللون الإسرائيليون لا يشكلون إلا نحو 20% مـن السكان فقد حققوا خلال حكم " نتنياهو " هيمنة أيديولوجية أكبر من حجمهم في المجتمع بفضل المساعدات الليكودية التي لم تـسقط بفـضل

مساندة تلك الأحزاب الدينية . (٩)

وقد احتلت هذه الأحزاب أيضا 28 مقعداً في الكنيست في دورتـه الخامسة عشر في العام 1999 كما أنها حصلت على حـوالي 21.2% من إجمالي الأصوات الانتخابية في إسرائيل .(١٠)

ييجال عمير الذي قتل رابين يقول : أن الله هو الذي أمره بقتل رابين وبيريز (تطرفاً يأخذ شكلاً دينياً) فقد لقـي " رابـين " مـصرعه في نوفمبر / تشرين الثاني 1995 على يد متطرف يهودي لا عربي وسـط أكثر من مائة ألف إسرائيلي في أكبر تجمع يحدث في إسرائيل منذ قيامها لتأييد سياسة السلم الذي ربما كان ينتهجها ، لقد اعترف القاتل بفعلتـه أمام المحكمة قائلاً : لقد فعلت ذلك وحدي ، ولكن ربما كـان الـرب معي . إن العملية تمت في إطار الحرب الدينية اليهودية .

لقد ظلت الصهيونية الاشتراكية هي القائدة والمهيمنة على المؤسسات الصهيونية قبل قيام الدولة، واستمر حزب المباي ، وبعد ذلـك حركـة العمل الإسرائيلية في حكم إسرائيل منذ عام 1948 وحتى عـام 1977 ليحدث الانقلاب الذي أحدث تغييراً جذرياً في الحيـاة الـسياسية في إسرائيل من نظام الحزب الواحد إلى الصراع بين حـزبين همـا العمـل والليكود .(١١)

وتبقى الفروقات بين الأحزاب الصهيونية على اخـتلاف مـشاربها وتنوع أيديولوجيتها ، وتوزعها بين اليمين واليسار مجرد تقاسم وظيفـي يصب في خدمة الإيديولوجية الصهيونية ، فلقد سوّق على أن حـزب العمل الحزب القادر على إحلال السلام في المنطقة والجنوح إلى التهدئـة والتعامل بعقلانية ، وموضوعية أكثر مع المستجدات الـسياسية علـى العكس من منافسة الليكود الذي يحوي بين صفوفه خلاصـة التطـرف الصهيوني وأبرز رموزه .

لكن الأيام أثبتت خطأ المراهنة وعمقها ، فلقد قاد حزب العمل النهج العدواني الذي يميز الكيان الصهيوني منذ نشأته اغتصاباً وعدواناً فوق الأرض العربية الفلسطينية ، وفي (بال) السويسرية حيث انعقد المؤتمر الصهيوني الأول وحدد لكل دوره .

فالتباينات في وجهات النظر تظل شكلانية الطابع ولا تمس الجوهر الحقيقي للأيديولوجية الصهيونية ، وما الاختلافات والفروقات الطفيفة التي تبرز بين الأحزاب الصهيونية في حقيقة الأمر إلا دور تم رسمه بدقة ويأتي على شاكلة تقسيم وظيفي فيما بينها يعمل في النهاية على خدمة المصلحة الصهيونية العامة وما تقتضيه الضرورات لتحقيقها ، وحالة التماهي والتماثل في الأداء تقلص تلك الفروقات وتنفيها ليختلط اليمين واليسار ، المتطرف والمعتدل مع بعضها البعض لدرجة يستحيل معها التمييز بينهما سواء كان ذلك من حيث الظاهر ، أومن حيث الباطن أحياناً .[١٢]

إلى جانب المعسكرات الحزبية في إسرائيل تقف هناك وعلى هامش الحياة السياسية تنظيمات تعرف وبما يسمى إعلامياً بحركات السلام والتي تضم في صفوفها ما يمكن وصفه بذوي الخلفيات المتعددة مع التأكيد على أنها تبقى صهيونية في الحد الأدنى رغم ما تتوجه به .

نرى في الآتي بدّاً في إلقاء الضوء على هذه الحركات والاتجاهات لا من شئ ولكن من باب التعرف على الشكل الذي يأخذه مفهوم السلام لديها ، والطريق المنشود بنظرهم والذي يتجسد به ذلك المفهوم ، وعند الحديث عن هذه الحركات نقف عندها مقسمة بحكم فترتين زمنيتين :

في أعقاب حرب حزيران 1967 ــ في أعقاب حرب تشرين 1973

أولاً : في أعقاب حرب 1967 :

لقد تمخضت هذه الحرب عن عدة اتجاهات تجاه ما أسفرت عنه هذه الحرب من نتائج التوسع الإقليمي الإسرائيلي باحتلال أراضي عربية عبر كل من مصر ، والأردن ، وسورية وهذه الاتجاهات هي :

١- اتجاه رأى أن هذه الأراضي التي تم احتلالها هي جزء من أرض إسرائيل الكبرى وفق الحدود الواردة في الوعد الإلهي في التوراة واعتبر أن هذه الأراضي هي الأراضي المحررة (هشطاحيم همشو حراريم) ورفع شعار ولا شبر واحد، ومثّله ذوو الاتجاهات اليمينية الصهيونية المتطرفة والدينيون المتطرفون .

٢ – اتجاه حاول استغلال ميكانزم الصراع العربي – الإسرائيلي بشأن فرض الأمر الواقع مع استغلال عنصر الوقت ، ومع استغلال عوامل الضعف والتشكك ، وانعدام الاستراتيجية تجاه تحرير هذه الأراضي في العالم العربي (الأراضي المحتلة عام 1967) .

٣ – اتجاه معتدل رأى في احتلال هذه المساحات في البلاد العربية ورقة للمساومة من أجل الحصول على السلام ، واعتبر إن المناطق المحتلة هي المناطق المحتفظ بها (هشطاحيم همشو خداقيم) ودعا إلى ضرورة السعي نحو السلام مقابل الأرض مع ضمان السلام والأرض وفرض سياسة العصا الغليظة القادرة باستمرار على تغيير خريطة المنطقة.

٤ – اتجاه رفض مبدأ احتلال أراضي الغير بالقوة ، ورفض الاعتراف بأن هذه الأراضي ، أو المناطق بأنها جزء من أراضي إسرائيل الكبرى أو إنها يمكن أن تشكل ورقة للمساومة من أجل السلام ، وأعتبر أن إسرائيل تحولت إلى دولة احتلال استعمارية بما يتناقض مع أخلاقيات الصهيونية المثالية ، وأطلق على هذه المناطق اسم المناطق المحتلة

(هشطاحيم هكبو شيم) .[١٣]

ويمكن القول أن أنصار حركات السلام في إسرائيل بعد حرب يونيو 1967 كانوا من خلفيات متعددة ، وكان البارزون منهم هم الملقبون بالأساتذة ، وهم جماعة متمركزة أساساً في الجامعة العبرية وإلى حد ما في الجامعات الأخرى ، وينظر إليهم على إنهم يحملون تراث جماعة بريت شالوم (حلف السلام) التي تأسست في العام 1925 .[١٤]

ثانياً : في أعقاب حرب 1973 :

كانت الساحة الإسرائيلية بعد حرب 1973 مهيأة لاقتحام توجهات اليمين الصهيوني المتطرف والجماعات الدينية المتطرفة ، واستنادا إلى أقوال الحاخامات فإن عبارة (التقصير) التعبير الذي ارتبط بنتائج حرب تشرين 1973 مع ذكريات الرعب من المواقع الإسرائيلية المحاصرة والرسائل الإذاعية التي بعث بها الأسرى عبر إذاعة القاهرة العبرية إلى ذويهم .. الخ كل هذا أدى إلى بروز حركات إحتجاج وتظاهرات طالبت بعزل جيل كامل من الزعماء . وكانت الاحتفالات الوحيدة التي تقام بمناسبة حرب أكتوبر تقام في المقابر دون نصب تذكارية .

تلاشت حركات الاحتجاج على الهزيمة بسرعة لكن مجموعتين فقط واصلتا الوجود في اتجاهين متناقضين تماماً :

- المجموعة الأولى : هي جماعة (جوش إيمونيم) الدينية الأصولية والتي حددت مبادئها في : لا تنازل ــ لا انسحاب ــ لا تخلي عن طريق الإيمان بضرورة استيطان كامل .

- المجموعة الثانية : وهي حركة السلام الآن ، التي نادت بأن نتائج حرب أكتوبر 1973 تقود إلى الطريق العكسي ، وهو حتمية التفاوض حول إعادة الأراضي المحتلة مقابل السلام .

ــ حركة السلام الآن : إلى أن تم تأسيسها في عام 1978 على يد

" ديدي تسوكر " كانت الحركة كثيرة الانقسام وعلى هامش النظام السياسي ، وهي ذات طابع عالمي ليبرالي معتدل ، وقد حددت أهدافها وتوجهاتها خلال ندوة عقدتها مع أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية في عام 1986 وبرعاية معهد (كارل رينر) في فيينا وفق ما يلي :

١- إن السلام يجب أن يسود منطقة الشرق الأوسط .

٢- إن التسوية يجب أن تضع نهاية للاحتلال الإسرائيلي الذي ترتب على حرب 1967 .

٣- إن المفاوضات بين الأطراف يجب أن تتم في إطار مؤتمر دولي للسلام .

وبالنسبة لجهود الحركة فهو ينحصر في المظاهر الاحتجاجية ضد ما يتعارض مع توجهاتها ، وكانت أهم هذه المظاهر الحشد الاحتفالي الذي أقيم في العام 1995 في ساحة الملوك في تل أبيب لتكريس توجه حكومة رابين نحو السلام ، والذي انتهى باغتيال الأخير على يد إيجال عمير .

ـ حركة الشرق من أجل السلام : وتأسست في العام 1983 على يد جماعة لا تزيد عن ثلاثين مفكراً يعود أصلهم إلى جذور شرق أوسطية وقد تأسست هذه الحركة على ستة مبادئ توجيهية هي :

١- دولة إسرائيل هي جزء من الشرق .

٢- التوق إلى السلام مبدأ أساسي لليهودية ، ولا يتناسب مع أعمال الاستيطان التي تشكل خطراً على السلام .

٣- تعيين الحدود الفعلية لدولة إسرائيل مع أن تحفظ الحقوق الشرعية الكاملة لجميع الشعوب في المنطقة .

٤- تقدم السلام في الشرق الأوسط سوف يؤدي إلى إيجاد ظروف مناسبة لنمو وتطور إسرائيل على الصعيد الثقافي والاقتصادي ، والروحي .

٥- إقامة مجتمع عادل مبني على القيم الإنسانية .
٦- الحركة ليست حزباً سياسياً وهي مفتوحة أمام جميع المتعاطفين مع مبادئها التوجيهية في إسرائيل .

ـ حركة القوة من أجل السلام : هناك حركتان دينيتان في إسرائيل هما القوة والسلام ، وسبل السلام وتعتبر الأولى هي الأقدم وتتألف من مثقفين يتحلقون حول جماعة من الأساتذة في جامعة بر-إيلان ، أما الحركة الثانية سبل السلام فتتبنى خطوطاً رئيسية تنحصر في :

١- عدم معارضة الاستيطان جملةً وتفصيلاً عبر الخط الأخضر وهي كحركة تحبذ الاستيطان في منطقة الجليل .
٢- التشديد على أن تجاهل القواعد الأخلاقية وحقوق الآخرين يعتبر انتهاكاً للألوهية ، وتقديم خيار بين الإنسانية الليبرالية العلمانية والقومية القائمة على الدين .

وهناك عدد أخر من حركات السلام في إسرائيل قام بعضها إثر اغتيال رابين لكنها محدودة القوة والتأثير من أهمها : حركة النساء المتّشحات بالسواد ـ منظمة بتسليم ـ كتلة السلام ـ منظمة صداقة ـ المركز العربي اليهودي للسلام ـ جيل السلام ـ وأخرى .

ولكن إن هذه الحركات ورغم ما تتوجه به تبقى صهيونية في الحد الأدنى ، كما أن لقضايا الأمن الإسرائيلي لديها أهمية خاصة وخاصةً في مسألة القوة النووية وسياسة الردع ، أضف إلى أن معظمها يؤكد على مبدأ القدس عاصمة أبدية لإسرائيل . ومن هنا يضيف الدكتور " الشامي " بأن التعامل مع قوى السلام من أي أطراف عربية لابد أن يكون محسوباً حساباً دقيقاً قائماً على الفرز والتمييز بين أهداف وأفكار القوى المختلفة الممثلة لحركات السلام في إسرائيل .(١٥)

الفصل الثالث

عشية مؤتمر السلام في مدريد

*إنّ الشرق الأوسط كان مسرح الحرب الباردة الأول الأمر الــذي تبدى آنذاك في عدد من التطورات الإقليمية غير المتوقعة خلال العقــود الأربعة بعد العام 1946 وفي ذاك العام أدى تأخر " ستالين " عن سحب القوات السوفيتية في الموعد المحدد من أذربيجان ، وكردستان ، حيــث أقيمت أنظمة موالية للسوفيت تتمتع بالحكم الذاتي ، بالإضافة إلى ضغط أمريكي معاكس وإلى أزمــة لم تنــتــه إلا باتفاقيـــة إيرانيـــة — سوفيتيــة اشتملت على انسحاب القوات السوفيتية .

كان مبدأ أو خطة " ترومان " للعام 1947 المتعلــق بتسليح تركية واليونان المبدأ الأول من عدة مبادئ عسكرية أمريكية تتنــاول الــشرق الأوسط وتستهدف السوفيت ، وجوبه دعم أمريكة لإســرائيل بــدعم السوفييت لموقف العرب ، وتسليح الأنظمة المفضلة ، وكان أولها آنذاك نظام الرئيس عبد الناصر في مصر .

إن تركيزاً كهذا على الشرق الأوسط الذي كــان جزئيــاً يعــود بالنسبة إلى الاتحاد السوفيتي السابق إلى الجوار والحدود المشتركة ، وجاء

---

*جي هوجان، مايكل: نهاية الحرب البــاردة — ص٢٧٣،٢٧٢- منــشورات وزارة الثقافــة —دمشق ١٩٩٨

نتيجة للاهتمامات الأمريكية- السوفيتية حول نفط المنطقة وموقعها الاستراتيجي ، ولكن كاد السوفيت أن يكونوا دوماً أقل عدوانية عمّا كانوا يصورون في الكتابات الأمريكية .(١٦)

وتعتمد أهمية الشرق الأوسط على نفطه بشكل رئيس ، وتعتمد في المقام الثاني على موقعه الإستراتيجي الهام .

وفي أماكن أخرى من الشرق الأوسط فإن السياسات الخارجية التي اتبعتها موسكو في أيام الاتحاد السوفيتي الأخيرة توشّجت مع الدبلوماسية الأمريكية ، وساعد الضغط السوفيتي على سبيل المثال في حمل منظمة التحرير الفلسطينية على تعديل موقفها من إسرائيل ، زد على ذلك إن السوفيتيين كانوا يحسنون علاقاهم مع الحكومات العربية المحافظة ، ومع إسرائيل ومع الولايات المتحدة ، وكذلك كانوا يخفضون إمدادات الأسلحة إلى حكومتي العراق وسورية ، وأدت سياستهم الأشد تراخياً حيال الهجرة اليهودية إلى إسرائيل إلى تنفير فلسطينيون وعرب آخرين عديدين .

إن تدفق اليهود السوفيتيين إلى إسرائيل زاد من دواعي القلق والمخاوف العربية إزاء المستوطنات الإسرائيلية والتوسع .

حقاً إن الجانب الأشد خلافية في سياسة الاتحاد السوفييتي الجديدة كانت علاقاها الودية مع إسرائيل ، في نفس الوقت استبدت الخشية بالعرب من أن سقوط الكتلة السوفيتية سيؤدي إلى هيمنة تامة في المنطقة الأمر الذي سيجعل من العسير الحصول على مساعدة فعالة لحل النزاع العربي – الإسرائيلي .

لعل الدور الأكثر أهمية الذي ظهر في ظل " غورباتشوف " كان دور صانع السلام الدولي ، ولهذا الدور أهمية خاصة في الشرق الأوسط وحتى لجهة النزاع العربي – الإسرائيلي . لم يكن السوفيتيين مجرد

راغبون في التحرك باتجاه دعم أكبر لإسرائيل بل استمروا أيضا في التشديد على التفاوض حول الاختلافات وتلك سياسة جعلتهم من الناحية السياسية أقرب إلى الموقف العربي السائد من حكومة إسرائيل .(١٧)

ولقد أبدى الاتحاد السوفيتي وفي مناسبات عديدة بأنه لم ولن يهدد نفط الخليج وطرق نقله ، إضافة إلى أنه لا يسعى للحصول على أية قواعد أو حقوق لاستثمار الثروة الطبيعية في الشرق الأوسط أو في مكان أخر في العالم ، أو إمكانات التأثير على التطور الداخلي لبلدان معينة إن الاتحاد السوفيتي السابق يعرض برنامجاً لكسر الجمود الذي يكتنف التسوية في الشرق الأوسط ، يقوم على التحرير التام لكامل الأراضي المحتلة في حرب حزيران 1967 بما فيها القدس الشرقية ، ومنح الفلسطينيين حق تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم المستقلة وضمان حق البقاء والعيش بأمن وسلام لكافة دول الشرق الأوسط الأخرى .

إن كافة هذه القضايا يمكن حلها عبر إجراء متكامل ، وأية إجراءات لفصل أية واحدة منها عن الأخرى سيكون من شأنها فقط زيادة أزمة الشرق الأوسط تعقيداً . إن الاتحاد السوفيتي السابق لا يرفض إمكان اتخاذ إجراءات مرحلية تتعلق بالأوجه المحددة للتسوية ولكنه يشدد في الوقت نفسه على أن الإجراءات المرحلية المذكورة يجب أن تكون جزء متمم للتسوية الشاملة . إنه يطالب بالبحث الجماعي المخلص عن تسوية شاملة لأزمة الشرق الأوسط على أسس واقعية وعادلة ، وهذا يمكن تحقيقه في إطار مؤتمر دولي ، وهو مستعد للمشاركة في هذا العمل إذا توفرت الروح البناءة والرغبة الأكيدة لدى الأطراف المختلفة ، وهو على استعداد في مثل هذا البحث الجماعي والعمل جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة الأمريكية ، والتعاون مع الدول الأوربية ، ومع جميع

أولئك الذين يبذلون سعياً مخلصاً لضمان سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، وفي هذا الصدد يمكن للأمم المتحدة أن تلعب دوراً مفيداً كما يمكن أن تنضم إلى المؤتمر الدولي المشار إليه بلدان أخرى تمثل المناطق التي تجاور الشرق الأوسط مثل أوربا وشمال أفريقيا .

إن الاقتراح السوفيتي المذكور يمثل الشكل الأكثر واقعية وعملية لمناقشة الأزمة في الشرق الأوسط ، أن هذا بالتحديد هو الهدف الذي يكمن وراء جهود الاتحاد السوفيتي السابق والدول الاشتراكية الأخرى وكافة القوى التواقة إلى السلام العالمي .(١٨)

مع وصول جورج بوش (الأب) إلى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وما رافق فترة رئاسته من إجتياح العراق للكويت ومن ثم استعادة الكويت ، وتمركز القوات الأمريكية في منطقة الخليج العربي ، كل هذا جعل الرئيس الأمريكي جورج بوش يطرح شعار الأرض مقابل السلام كعنوان يعنون المفاوضات العربية – الإسرائيلية عبر المؤتمر الدولي للسلام ، والذي أنطلق فيما بعد بالعاصمة الأسبانية مدريد في 3 تشرين الأول / أكتوبر من العام 1991 والذي أفتتحه الرئيس الأمريكي جورج بوش والرئيس الروسي مخائيل غورباتشوف وشاركت فيه كل من سورية ، ومصر ، والأردن ، ومنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل . وقبل ذلك بدأت تحضيرات بسيطة معقدة في آن وبدأ المكوك الأمريكي ذهاباً ، وإياباً من ، وإلى منطقة الشرق الأوسط داعياً إلى المؤتمر الدولي للسلام الذي أعتقد الأمريكيون بأنه بداية النهاية لأكثر من خمسين عاماً من الصراع العربي – الإسرائيلي .

يذكر جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية في كتابه الذي حمل اسم " مذكرات جيمس بيكر " يذكر عن جولته في دمشق ولقاءه بالرئيس حافظ الأسد ، يقول بيكر : فقد أردت الموافقة من الأسد على

المشاركة في المؤتمر الإقليمي وأصغى الأسد بإهتمام إلى تلخيص لرد فعل شامير (رئيس وزراء إسرائيل آنذاك) لكنه أي " الأسد " تجاهله تماماً مركزاً على المؤتمر بدلاً من ذلك ، وقال : إنه مستعد للمشاركة لكن فقط في حال تلبية أربعة شروط ، وأصر على ما وصفه بأنه مؤتمر دولي وأراد الحصول على ضمانات بأن راعيي المؤتمر سيضمنان كافة نتائجه وإنه يجب أن يبقى في حالة انعقاد لضمان إعطاء زخم للمفاوضات وأضاف قائلاً : إنه لضمان إن المؤتمر أكتسب ما وصفة مراراً بأنه شرعية دولية وسلطة معنوية فلابد من انعقاده تحت رعاية الأمم المتحدة . وأخيراً اقترح الأسد إنه طالما أن الاجتماع يرمي إلى تحقيق السلام فلا بد أن يوصف بأنه مؤتمر سلام ، ووافقت على الاقتراح " بيكر " على الفور وذكر بيكر للرئيس حافظ الأسد بأنه لا يمكن إقناع إسرائيل بالمشاركة في مؤتمر دولي يعقد تحت رعاية الأمم المتحدة ورد الأسد قائلاً : إذا كان قد تم توفير مظلّة كافية من الأمم المتحدة لحرب الخليج ، فلماذا لا توفّر هذه المظلّة للمؤتمر .(١٩)

بعث الرئيس الأمريكي جورج بوش برسالة إلى السيد الرئيس حافظ الأسد عبّر خلالها عن رغبة الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي بعقد مؤتمر للسلام لدراسة إيجاد حل للصراع العربي – الصهيوني حسب قراري مجلس الأمن / 242 – 338 / على قاعدة الأرض مقابل السلام وجاءت رسالة السيد الرئيس الجوابية التي تضمنت حرص سورية على تحقيق السلام العادل والشامل حسب قرارات الأمم المتحدة السابقة والقاعدة العامة الأرض مقابل السلام .

وتم استكمال المرتكزات العامة لهذا المؤتمر باللقاءات مع المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية ، الرئيس الأمريكي (بوش الأب) ووزير خارجيته جيمس بيكر خلال جولتهما في المنطقة .

وفي 18 / 10 / 1991 وجهت الدعوة لحضور المؤتمر موقعة من الرئيس الأمريكي بوش ، والرئيس السوفيتي غورباتشوف إلى جميع الأطراف المشاركة في المؤتمر ، وتضمنّت الدعوة :

١- أهمية هذه الفرصة التاريخية للتوصل إلى سلام حقيقي في المنطقة.

٢- استعداد كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي لمساعدة الأطراف على تحقيق تسوية عادلة وشاملة بين الدول العربية وإسرائيل ترتكز على قراري مجلس الأمن / 242 – 338 / وهدف هذه العملية هو السلام الحقيقي .

٣- الأطراف المشاركة في المؤتمر : سورية – الأردن – الفلسطينيون كجزء من الوفد الأردني – إسرائيل – مصر بصفة مراقب .

٤- إلى جانب راعيي المؤتمر الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ستتم دعوة الأمم المتحدة ، والاتحاد الأوربي ، ومجلس التعاون الخليجي بصفة مراقبين .

افتتحت الدعوة باعتقاد راعيي المؤتمر إن هذه العملية تتيح فرصة واعدة لإنهاء عقود من المواجهة والصراع ، كما تبشر بالأمل لتحقيق سلام دائم بالمنطقة .

وترافقت هذه الدعوة مع رسائل تطمينات من الولايات المتحدة وجهت إلى كل من سورية ، ولبنان ، والفلسطينيين ، وإسرائيل بتاريخ 15 تشرين الأول 1991 وتضمنت الرسالة الموجهة إلى سورية :

١- التأكيد على أن الحل الشامل يجب أن يستند إلى قراري مجلس الأمن / 242 – 338 / ومبدأ الأرض مقابل السلام .

٢- تأكيد الولايات المتحدة الأمريكية على تحقيق حل عادل وشامل للصراع العربي – الإسرائيلي .

٣- ترفض الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف بضم الجولان وتطبيق القانون الإسرائيلي عليه .

٤- وسوف تظل على رفضها النشاط الاستيطاني داخل الأراضي المحتلة منذ عام 1967 والتي تشكل عقبة أمام السلام .

٥- ستستمر الولايات المتحدة كوسيط أمين في محاولة التوصل لحل النزاع العربي - الإسرائيلي من خلال تفهمها إحتياجات كل الأطراف ومتطلباتهم .

وتم الاتفاق على إنعقاد المؤتمر في مدريد.. مؤتمر السلام .[٢٠]

وبالنسبة لإسرائيل يذكر " بيكر " في كتابه المنوه عنه سابقاً وفي حواره مع إسحق شامير رئيس الحكومة الإسرائيلية ، وأثناء جولاته المكوكية التي كانت بمثابة مقدمة لمؤتمر السلام .. يقول شامير : إن إسرائيل باتت مستعدة للمشاركة في مؤتمر إقليمي ولكن ليس تحت رعاية الأمم المتحدة ، ووافق أيضاً والقول لبيكر على التمثيل الفلسطيني لكنه أراد أن يكون الفلسطينيين جزءاً من وفد مشترك مع الأردن وأعرب عن اعتقاده بأن تأثير منظمة التحرير الفلسطينية سوف يتلاشى بهذا الشكل ، ومع ذلك لم يكن راضياً عن أسس المؤتمر ، فبالنسبة للعرب ومعظم دول العالم فإن قرار مجلس الأمن رقم / 242 / يقضي بمبادلة الأرض مقابل السلام وهو ما كان شامير يتوعلم بألا يحدث على الإطلاق ، ذلك إن إسرائيل كانت تنظر على الدوام إلى الأمم المتحدة على أنها عدو رهيب لا يكبحه سوى الفيتو الأمريكي في مجلس الأمن الدولي ، ورسخ قرار الأمم المتحدة عام 1975 بمساواة الصهيونية بالعنصرية وجهة النظر هذه .[٢١]

الفصل الرابع

الموقف السوري من عملية السلام والموقف الإسرائيلي منها

إن الدعوة إلى السـلام هي دعوتنـا منذ آلاف السـنين ، دعوتنا ديناً وعقيدة وأدباً وفناً ، وحتى في جاهليتنا حيث كان شعراؤنا ينددون بالحرب ويدعون إلى السلام . وعلى هذه الأرض تحديداً نزلت شـريعة عيسى ومحمد ، رسالتا السماء إلى الأرض تدعوان إلى الإخـاء والمحبـة والسـلام بين الناس جميعاً ﴿كتب عليكم القتال وهو كـره لكـم﴾ ﴿وإذا جنحو للسلم فاجنح لهـا﴾ ، ﴿وقـاتلوا في سـبيل الله الـذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ، ﴿طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض .. من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك﴾ .

لقد دخلت سورية حرب تشرين التحريرية بهدف تحقيـق الـسلام وهذا ما أكده الرئيس حافظ الأسد بقوله : إننا نقاتل لندفع عن أنفـسنا وشعبنا القتل ، لسنا هواة قتل وتدمير ، وإنما ندفع عن أنفـسنا القتـل والتدمير ، نحن دعاة سلام ونعمل من أجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم .

وأستمر هذا الموقف خلال حرب تشرين التحريرية ، يقول الـرئيس حافظ الأسد : وخلال حرب تشرين وافقنا على قرار مجلس الأمن رقـم / 338 / وضمنه القرار / 242 / ومنذ ذلك التاريخ بدأت الجهود مـن أجل تحقيق السلام على أساس القرار المذكور ، وعملنا من أجل سـلام عادل وشامل يعيد الأرض والحقوق . وظهرت خـلال هـذه الـسنين

مبادرات دولية مختلفة من أجل السلام لكنها كانت تصطدم دائماً بالموقف الإسرائيلي الرافض للسلام المرتكز على الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

وسورية بقيادة الرئيس حافظ الأسد هي التي فتحت طريق السلام من المعروف إن سورية هي التي فتحت طريق السلام عندما وافقت على المبادرة الأمريكية التي تقوم على تنفيذ قراري الأمم المتحدة رقم / 242 / و / 338 / ومبادلة الأرض بالسلام ، وهو ما تعنيه هذه القرارات بعد أن كانت حكومة إسرائيل قد رفضت المبادرة بموجب رسالة وجهتها إلى الإدارة الأمريكية رداً على مبادرتها .(٢٢)

وعندما تم الاتفاق بين سورية وإسرائيل عام 1974 على فصل القوات في جبهة الجولان بعد حرب تشرين التحريرية أعلن نيكسون الرئيس الأمريكي آنذاك نبأ هذا الاتفاق بعد مضي أكثر من شهر على جولات وزير الخارجية كيسنجر في المنطقة وإجراؤه نحو / 170 / ساعة من المباحثات مع المسؤولين السوريين ، والإسرائيليين والذي أعتبر بأن ذاك الاتفاق بداية الأمل في تحقيق السلام في الشرق الأوسط مع العلم بأن هذا الاتفاق لم يخرج عن كونه اتفاقاً عسكرياً محدوداً . مع تأكيد سوري على سلام عادل وشامل يحقق استقرار دائم في المنطقة ، وهو تأكيد بلّغت به إسرائيل في العام نفسه أثناء اللقاء الذي جمع الرئيس حافظ الأسد ، والرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون وغيرها من اللقاءات الأخرى التي جمعت وتمت بين الرئيس الراحل حافظ الأسد والرؤساء الأمريكيين المتعاقبين والمتتالين .(٢٣)

علماً بان الرئيس الراحل حافظ الأسد قد جمعته خمسة لقاءات برؤساء أمريكيين ، أكد في جميع هذه اللقاءات والاجتماعات الرغبة السورية الصادقة في أن يعم سلاماً عادلاً شاملاً في منطقة الشرق

الأوسط يعيد الحقوق المشروعة لأصحابها وفق قواعد وقرارات الأمم المتحدة ، أي وفق الشرعية الدولية . وتطبيق هذه الشرعية دون انحياز أو إتباع سياسة الكيل بمكيالين ، وإنهاء مظاهر القوة ، وإيجاد حلول عادلة لا منحازة للأزمات القائمة في المنطقة للوصول إلى ترسيخ مبادئ الأمن والاستقرار والسلام كعوامل مساعدة في عمليات التنمية الشاملة والتطوير ومواجهة أخطار دولية محدقة تفرض نفسها بقوة مثل الانتشار النووي ، وتلوث البيئة ، والأمراض المستعصية ، والفقر والبطالة ، والجوع وما يتفرع منها وعنها . كانت دائماً رسالة سورية إلى العالم تبدأ وتستمر بالسلام ، السلام الذي أكده الرئيس حافظ الأسد مراراً وتكراراً وخاصةً مع راعٍ من راعيي مؤتمر السلام وأقصد الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين والمتتاليين ، هذه اللقاءات والتي كانت على التوالي :

- لقاء الرئيس حافظ الأسد مع الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في العام 1974 .

- لقاء الرئيس حافظ الأسد مع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في العام 1975 .

- لقاء الرئيس حافظ الأسد مع الرئيس الأمريكي جورج بوش في العام 1990 .

- لقائين للرئيس حافظ الأسد مع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون خلال العام 1994 الأول في دمشق ، والثاني في جنيف في سويسرا .

إن السلام رغبة صادقة لسورية ، وإن السلام هو جزء أساسي من سياسة سورية مؤكدةً بأن السلام هو خيار استراتيجي لها السلام العادل والشامل السلام المرتكز على قرارات الشرعية الدولية لأننا وكما أكد الرئيس الراحل حافظ الأسد بقوله : نحن نريد السلام الذي يعيد

الأرض ، ويعيد الحقوق ، وينشر الأمن في المنطقة ، وأقل من ذلك استسلام ولن تستطيع قوة في الأرض أن تفرض علينا الاستسلام .

هذا النهج الذي أستمر مع الرئيس بشار الأسد والذي تحدث في محور العلاقات الدولية أثناء خطاب القسم فيذكر : بأن سيادة الالتزام بمبادئ الشرعية الدولية تتطلب من منظمة الأمم المتحدة أن تقوم بمهامها التي نص عليها ميثاقها بصورة موضوعية وبعيداً عن التأثيرات المختلفة التي يمكن أن تحد من تطبيق هذه المبادئ بشكلها الأمثل بحيث نصل إلى عالم خال من الصراعات وبؤر التوتر يسوده السلام والعدل والديمقراطية في العلاقات بين الدول ويتعمق فيه الحوار بين الحضارات المختلفة في عالم اليوم ، إننا نتطلع إلى بناء أوثق الصلات مع الدول والشعوب والمنظمات الدولية على قاعدة الاحترام المتبادل والتعاون البناء وصيانة الأمن والسلام الدوليين وانطلاقاً من احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها بالشكل الذي يضمن تحقيق مصالحها الحيوية .

هذا هو المفهوم السوري للسلام في الشرق الأوسط وبالنسبة إليها فلا سلام دون استعادة كامل تراب الجولان غير منقوص الحال الذي بدا عليه عشية حرب حزيران 1967 . وغير ذلك فهو استسلام ولن يفرض أحد علينا الاستسلام .

على عكس الموقف الإسرائيلي الغامض والمرتكز على شرعية خاصة به نهجها العدوان والاستيطان ، والتوسع والاحتلال ، وتراوغ باسم السلام عبر حيل اعتادت عليها يبرز منها ما يتردد في إسرائيل دائماً تحت عبارة ((انتخابات مبكرة)) !!!

لقد عملت إسرائيل وتعمل دائماً على تضليل الرأي العام حيال موضوع الانسحاب من الجولان السوري المحتل، خارج إسرائيل وحتى داخلها ، وذلك عبر تسويق عبارات مزيفة وإطلاق عبارات مشوهة

مضللة غرضية مفادها حسبهم بأن انسحاباً محتملاً من الجولان السوري سوف يؤدي إلى كارثة داخل إسرائيل . ففي مقال عن احتمال السلام السوري – الإسرائيلي وقعه ثلاثة معلقين إسرائيليين ، وظهر في وقت واحد في صحيفة يديعوت أحرنوت ، وصحيفة معاريف في 10 / 6 / 1999 نقرأ التالي :

سنة 1967 قمنا باحتلال هضبة الجولان ، وسنة 1973 حافظنا عليها ، ويبدو أننا سنقرر قريباً ما إذا كنا سنودعها إلى الأبد ، وفي أحسن الحالات سيتخذ قرار ديمقراطي ، وفي أسوء الحالات ستندلع حرب أهلية .(٢٤)

تجدر الإشارة إلى أن الصحافة من أبرز وسائل الإعلام الإسرائيلي وتحتل مركز الصدارة بين وسائل الإعلام والدعاية .

وقد استطاعت الصهيونية عن طريق الصحافة التغلغل والتسلل إلى الحكومات الغربية ، إضافة إلى تغلغلها في المنظمات والتشكيلات السياسية والاجتماعية ، ومراكز النفوذ والقوى الضاغطة ، وتشير الإحصاءات إلى أن الصهيونية تمتلك ما يقرب من (1035) صحيفة ومجلة على مستوى العالم منها (254) في أمريكا و (158) في أوربا و(32) في أفريقيا ، وتعتبر الصحافة اليهودية أوسع شبكة صحفية تصدرها مجموعة بشرية في العالم ، ومن خلال الصحافة والدعاية ، والمؤثرات الدينية المختلفة يلعب إعلام إسرائيل دوراً في تشويه صورة العربي وإظهار الإسرائيلي بصورة مثالية بشكل متقن ومخادع يخدع المتلقي ويجعله غير قادر على التمييز بين القاتل والضحية .(٢٥)

لكن سرعان ما تنجلي الحقيقة وتتوضح من خلالهم ككيان ، ومن خلال سلوكياتهم كحكومات يشهد على ذلك مجازرهم الدموية المروعة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل ، ويشهد على ذلك طائراتهم التي تدك

مخيمات جنين ، وجباليــة ، وغزة وكل بقعة مــن أرض فلســطين مجازرهم في لبنان ، في القرية الوديعة " قانا " في صبرا ، وشــاتيلا ، في جنوب لبنان المحرر ، في عمليات الاغتيال والتصفية التي يمارسونها ضـد رموز الوطنية والحرية ، ومدافعي الحق والعدل والإنسانية من شــرورهم في كل مكان عبر أجهزتهم المدنية والعسكرية على حد سواء .

ويتبادر سؤال إلى الذهن ... هل يمكن لإسرائيل أن تخطوا خطوات جدية وملموسة نحو السلام ؟ وإن لم يكن فهل يمكن أن يفرض الســلام على إسرائيل ؟ سؤال يطرح نفسه على الأغلبية من هذا العالم التــواقين إلى السلام العالمي بكل الأشكال ، التواقين وفق نظرية المنطق والشرعية .

يمكن أن يقبل الإسرائيليون بالسلام وفق قــرارات الأمــم المتحــدة مرغمين بالشروط التالية :

١- وضع دولي قادر على فرض إرادته على إسرائيل ، ولا يــسمح الوضع الراهن بذلك ، لأن القوة العظمى القادرة على فرض الحــل تقف دائماً إلى جانب إسرائيل وتعتبرها جزءاً من أمنها الإستراتيجي وأعني بهذه القوة الولايات المتحدة الأمريكية .

٢- إذا تعرضت إسرائيل لحرب وخسرتها ، وهذا الأمــر لا تتــوفر إمكانياته بسبب الأوضاع الدولية والإقليمية القائمة ، والتوجه العالمي نحو السلام .

٣- إذا تمكنت قوى المقاومة من استنــزاف إسرائيل وخلق حالــة القلق والخوف فإن السلام يصبح مطلباً إسرائيلياً وعالمياً، وهذه الحالة تتطلب قدرة المقاومة على الصمود وتحمل الضربات الإسرائيلية .

وكما إن استمرار الاحتلال محصلــة اختــلال التوازن بين القــوى فإن الانسحاب ، وإزالة أثار العدوان لا تتم إلا بتصحيح الخلل في هــذا التوازن .

الفصل الخامس

بدء أعمال المؤتمر وخلاصة المرحلة الأولى من المفاوضات العربية الإسرائيلية

عقد مؤتمر مدريد في الفتـــرة بين 30 تـــشرين الأول – 2 تـــشرين الثاني من العام 1991 بحضور الأطراف المشاركة في عملية الـــسلام في الشرق الأوسط ، وهي سورية ـــ لبنـــان ـــ الأردن ـــ الفلـــسطينيون برعاية منظمة التحرير الفلسطينية ـــ مصر ـــ إســـرائيل وبحضور الأمم المتحـــدة والاتحـــاد الأوروبي ، ومجلس التعاون الخليجي بصفة مراقبين وبرعاية كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق .

ترأس الوفد السوري إلى مؤتمر السلام في مدريد الأســـتاذ فـــاروق الشرع وزير الخارجية ، بينما ترأس الوفد الإسرائيلي إسحق شامير الذي كان يشغل موقع رئيس وزراء إســـرائيل في ذلك العام ، وأخـــذ معـــه بنيامين نتنياهو . وقال شامير في ذلك الوقت : إنه مســـتعد لأن يستمر في التفاوض مـــع العرب عشر سنـــوات دون أن يصل معهم إلـــى أية نتيجة .(٢٧)

موقف مسبق يوضح جلياً عدم رغبة إسرائيل وجديتها بعملية السلام شكلاً ومضموناً ، والذي سوف يتأكد من خلال استعراض موجز جداً للمفاوضات العربية الإســـرائيلية بشكل عام ، وبشكل شبه تفـــصيلي بالمفاوضات المتعلقة بالمسار التفاوضي السوري – الإسرائيلي على وجـــه الخصوص .

لقد تعاملت سورية مع المؤتمر من خلال مايلي :

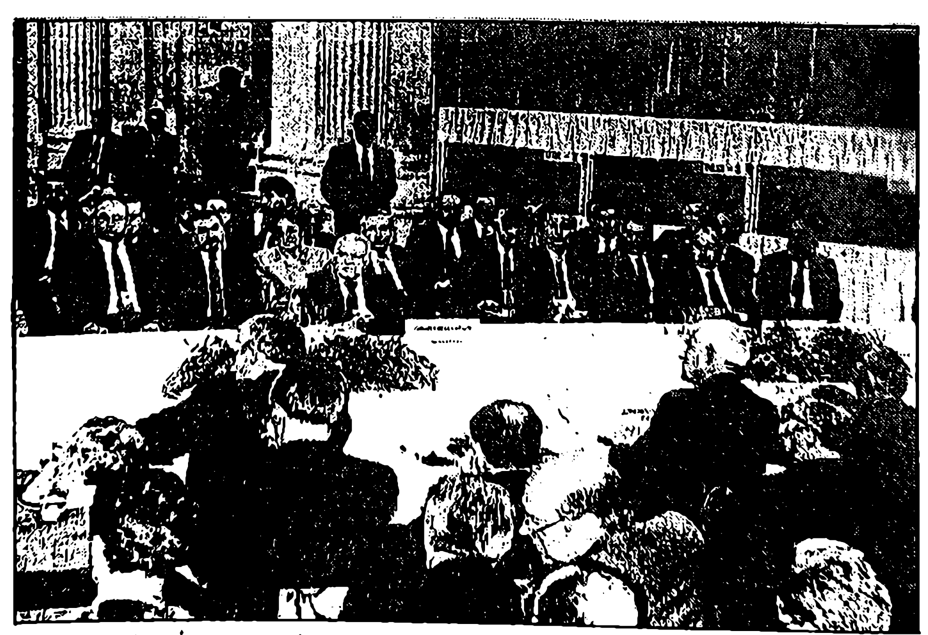
١- تحديد الهدف الأساسي لمؤتمر السلام بما ينسجم مع استراتيجيتها العامة والاستراتيجية السياسية وأهدافها والمصالح القومية العليا .

٢- تأمين الوسائل المناسبة والمساعدة لخوض معركة السلام والعمل على تحقيقها على أرضية الواقع ، وتوظيفها لصالح الأمة العربية .

٣- حرصت سورية على إيجاد موقف عربي موحد خلال المؤتمر يسهم في تقوية الموقف العربي التفاوضي ، ويمنع إسرائيل من تجزئة الموقف العربي والإنفراد بكل طرف على حده .

٤- التصدي لمحاولات إسرائيل إبعاد المؤتمر عن أهدافه الأساسية بالتركيز على القضايا الهامشية فالثانوية والجزئية دون التطرق للقضايا الأساسية .

٥- مواجهة محاولات إسرائيل الرامية إلى جعل أمنها المرجعية الأساسية لعملية السلام والقضية الأساسية في مناقشات المؤتمر متجاهلة الحقوق العربية التي أكدتها الشرعية الدولية .



في مدريد العاصمة الإسبانية انطلق مؤتمر السلام في الشرق الأوسط

ولفشل إسرائيل في تحقيق أهدافها بسبب الموقف العـــربي الواحـــد المرتكز على مبدئية الموقف السوري ، بدأت بالتنـــسيق مـــع الـــدول والأطراف الداعمة لها لتفتيت وحدة الموقف العربي كمقدمة لإضـــعاف الموقف التفاوضي المبدئي لسورية ، والالتفاف على مؤتمر السلام وإفراغه من مضمونه ، وإبعاده عن الأهداف الأساسية التي عقد من أجلها هـــذا المؤتمر ، وبرز ذلك من خلال الخطوات التالية :

١- إطلاق المفاوضات المتعددة الأطراف في موسكو في العام 1992 بهدف دراسة تطبيع العلاقات المختلفة بين العرب وإسرائيل حتى قبل انسحابـــها من الأرض العربيـــة المحتلة ، والتوصل إلى سلام شامل .

٢- التوصل إلى اتفاقيات منفردة بشكل سري مع منظمة التحريـــر الفلسطينية (1993 – 1994) مما أدى إلى تنـــاقض في مواقـــف الوفد الفلسطيني بين ما هو معلن وما هو سري .

٣- التـــوصـــل إلى اتفاقيـــات منفردة مع الأردن العـــام 1994 تضمنت قضايا السلام والحدود والأمن والعلاقات الثنائيـــة، والميـــاه واللاجئين والنازحين، ومختلف مجالات التعاون.

٤- العمل على تحقيق السوق الشرق أوسطية بهدف تحقيق المزيد من الاختراقات على الجانب العربي ، وتوسيع دائرة علاقاتها مع الـــدول العربية بهدف إضعاف الموقف السوري .

٥- تمكنت إسرائيل في شهري أيلول – تشرين الأول العـــام 1993 من إقامـــة علاقـــات مع بعض الـــدول العربيـــة ، واســـتمرت في محاولاتها لتوسيع هذه العلاقات .

٦- نزوع بعض الدول العربية إلى تطويق المقاطعة العربية لإسرائيل .

٧- ممارسة ضغوط شتى على سورية سياسياً وعسكرياً .[٢٨]

لقد أدرك الإسرائيليون منذ اللحظة الأولى لمؤتمر مدريد أهمية القضية

الفلسطينية بالنسبة للعرب إلى أن كان ما يعرف بإتفاق غـزة – أريحا وبعد توقيع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات معاهدة أوسلو في واشنطن ، تبعها توقيع أخر في وادي عربة بين إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي ، والعاهل الأردني الراحل حسين بن طلال .

وصمدت الجبهة السورية واللبنانية حيال إغراء أمريكي تمثل في لقائي الرئيس الأمريكي بيل كلينتون مع الرئيس حافظ الأسد في دمشق وجنيف ، وفي زيارات وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر المكوكية ، وبقى الأسد متمسكاً بالثوابت التي على أساسها قبل بمؤتمر مدريد .

بدلاً من أن يكون هناك موقف عربي موحد من عملية السلام كما كان مقترحاً منذ انعقاد مؤتمر مدريد – تشرين الثاني 1991 حدث خرق على الجبهة الفلسطينية حين ذهب ياسر عرفات ووقع اتفاقاً في أوسلو مع إسرائيل خلافاً لكل ما كان يعلنه على الملأ في ذلك الوقت كان ياسر عرفات يقول لنا في سورية ويقول أيضاً لأخوة لنا في الوطن العربي إنه ليس هناك أي اتفاق سري يعدُّ له في أوسلو أو غير أوسلو . تمت الاتصالات في الظلام وانتهت إلى توقيع اتفاقيات أوسلو ، التي أجاد القائد الخالد حافظ الأسد في وصفها وأحسن تشخيصها حين أختصر الأمر كله في كلمات محدودات ، وهي أن كل بند من بنود هذه الاتفاقيات يحتاج إلى اتفاقيات جديدة لكي يتم التوصل إلى تفاهم حول هذه البنود .

ثم حدث خرق مماثل على الجبهة الأردنية حين وقعت اتفاقية وادي عربة ، وكانت طعنة في الظهر تماماً كما فعل ياسر عرفات حين وقع على اتفاقيات أوسلو ، كانت طعنة لسورية ، لكنها أصابت الأردن بالأذى والضرر بأكثر مما أصابت سوريا لأن الأردن وفلسطين يكون

أكثر قوة مع سوريا وبسوريا . كانوا يستطيعون أن يكونوا الأقوى والأكثر قدرة على الأخذ ، والأقل استعداداً للتفريط بما فرّطوا به ، فيما لو كانت سورية معهم ، لأن هذا التوازن (توازن القوى المفقود بين المتفاوضين) سوف يكون موجوداً وقائماً فيما لو كانت سورية جنباً إلى جنب مع الأخوة الفلسطينين ، والأخوة الأردنيين .[٢٩]

وبصدد الحديث عن اتفاق أوسلو، تجدر الإشارة إلى رأي الإسرائيليين أنفسهم في اتفاق أوسلو ، وهو ما أشار إليه شيمون بيريز بقوله : إن اتفاق أوسلو هو الانتصار الثاني للصهيونية بعد نجاح هذه الحركة في تأسيس دولتها . ليس هذا فقط بل إن قطباً أخر من أقطاب السياسة الإسرائيلية ، وهو آبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق وقد تنفس الصعداء بعد اتفاق أوسلو يقول : إن القلعة تم اقتحامها من داخلها . هل يكفي هذا لبيان الجرم الذي اقترفه عرفات ؟ .[٣٠]

لقد ظلت سورية قوية وثابتة وصامدة ، متمسكةً بالثوابت مواجهةً السياسة الأمريكية بكل قوة وصلابة . هذا الموقف الذي أثبت أهليته وجدارته أمام العالم أجمع ومازال .

خلال هذه المرحلة التي توقفنا على نتائجها خاضت سورية خمس جولات من المحادثات مع إسرائيل الذي مثلها خلال هذه الفترة حزب الليكود اليميني المتطرف ممثلاً آنذاك برئيس وزراء إسرائيل وحكومتها إسحق شامير ، ولم تشهد هذه الجولات الخمس من المباحثات أي تقدم يذكر فيما يخص العملية السلمية ، لتبرهن سورية وبدليل قاطع بأنها مفاوض صلب لا يتضمن قاموسها السياسي والعقائدي أية إشارة أو أي مكان لعبارات التنازلات ، والاستسلام والتفريط فيما يخص الحقوق العربية عموماً والحق السوري في استعادة الجولان كاملاً غير منقوص عبر انسحاب إسرائيل إلى خط 4 حزيران / يونيو 1967 بشكل خاص .

لتبدأ فيما بعد مرحلة ثانية وجولات لمباحثـــات أخرى مع إسرائيل الذي مثلها في هذه الفترة حزب العمل اليساري ، ممثلاً آنذاك بـــرئيس وزراء إسرائيل وحكومتها " إسحق رابين " الذي وصـــل إلى رئاســـة الحكومة في إسرائيل في انتخابات الكنيـــست الثالثـــة عـــشرة في 23 حزيران / يونيو 1992 .

هذه المرحلة بدأت وانتهت برعاية أمريكية ، وحققـــت تقـــدماً لم يترجم إلى الواقع بسبب المراوغة الإسرائيليـــة والافتـــراءات الكاذبـــة والتي سنأتي على شرح شبه مفصل لها في الفصل الأول من الباب الثالث والأخير من هذا الكتاب .



... ما بعد أوسلو



.. ما بعد وادي عربة



... وقبلها في كامب ديفيد

مراجع الباب الثاني

١. الشامي ، رشاد عبد الله – اليهود في البلدان العربية والإسلامية – ص 47

٢. المرجع السابق – ص 61

٣. عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية – ص 260 .

٤. البدري ، طاهر – القدس بداية النهاية لدولة إسرائيل – ص 42 .

٥. عبد الجواد ، جمال – الفكر الاستراتيجي – العلاقات الأمريكية – الإسرائيلية – ص 19.

٦. حبش ، جاد – من داخل إسرائيل – ص 317 .

٧. المرجع السابق – ص 317– 318 .

٨. مجلة العربي – العدد 504 – سلاح السلام – ص 101 – 102 .

٩. حبش ، جاد – من داخل إسرائيل – ص 319– 320 .

١٠. الشامي ، رشاد عبد الله– إشكالية الهوية في إسرائيل– ص 18– 17 .

١١. جريدة البعث – العدد 11979 – بتاريخ 19 / 1 / 2003 .

١٢. الشامي ، رشاد عبد الله– إشكالية الهوية في إسرائيل– ص 179–180 .

١٣. المرجع السابق – ص 183 .

١٤. المرجع السابق – ص 198 .

١٥. جي هوجان ، مايكل – نهاية الحرب الباردة – ص 272 – 273 .

١٦. المرجع السابق – ص 282 .

١٧. مركاريان ، روبرت – الفكر الاستراتيجي – مشكلة الشرق الأوسط من وجهة نظر سوفيتية – ص 116 .

١٨. بيكر ، جيمس – مذكرت جيمس بيكر – ص 653 .

١٩. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني – ص149 .

٢٠. بيكر ، جيمس – مذكرت جيمس بيكر – ص 653 .

٢١. شدود ، ماجد– حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني ص 150-149 .

٢٢. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 257 .

٢٣. مجلة العربي – العدد 504 – سلاح السلام – ص100 .

٢٤. مجلة العربي – العدد 510 – الإعلام الإسرائيلي – ص184 .

٢٥. قدسي ، صفوان –حافظ الأسد " المثابة الوطنية والمرجعية القومية " _ ص 171 .

٢٦. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني ص 158 – 159 154 – 155 – 156– 151 .

٢٧. قدسي ، صفوان –حافظ الأسد" المثابة الوطنية والمرجعية القومية " ص 125– 124.

٢٨. البدري ، طاهر – القدس بداية النهاية لدولة إسرائيل – ص 9 .

الباب الثالث

الفصل الأول

المباحثات السورية – الإسرائيلية في عهد رابين

الفصل الثاني

المباحثات السورية – الإسرائيلية في عهد بيريز ونتنياهو

الفصل الثالث

المباحثات السورية – الإسرائيلية في عهد باراك

الفصل الرابع

الجولان في فكر الرئيس بشار الأسد

الفصل الأول

المباحثات السورية – الإسرائيلية في عهد رابين

لقد كان الجـــولان ولا يزال لب استقرار المنطقـــة أو قلقها الأرض التي تدور حولها المفاوضات . وتدفع سورية في هضبة الجـــولان الـــثمن الباهظ لمعاهدات (كامب ديفيد ـــ أوسلو ـــ وادي عربـــة) حيـــث أتاحت هذه الاتفاقيات إمكانات جديدة لإسرائيل والأطراف الداعمة لها للضغط على سورية في مباحثـــاتها السلمية واستعادة الجولان ، المطلب السوري الشرعي الذي أغلق كل إمكانيات الضغط تلك وأفشلها عـــبر صلابة الموقف والتمسك بالثوابت .

يقول رابين : إن القوة العسكرية هي الداعم الوحيد لإنجاز اتفاقيات بيننا وبين العرب ، وأنا لن أضع إسرائيل مجدداً في مواجهة ذلك الموقف المؤلم الذي خبرته شخصياً في عام 1967 لن أرى إسرائيل أبداً بخـــصر ضيق كما كانت حتى تلك السنة ، ولن أسمح بأن يطل علينـــا الجنـــود السوريون من رأس التلّة بدلاً من أن يفعل جنودنا ذلك . !

بذلك أطل علينا " رابين " رئيس الحكومة الإسرائيلية بمرحلة ثانية من المباحثات السلمية بين الجانبين السوري – الإسرائيلي .

لقد جرت مفاوضات أولاً في واشنطن في (واي بلانتيشن) وأمكن التوصل إلى اتفاق مع حكومة رابين في ذلك الوقت ، وخلاصـــة ذلـــك الاتفاق أو عنوانـــه هو عنوان مؤتمـــر مدريد الذي ذهبنا إليه مع وفود عربية أخرى وفق مبادئ وأسس وثوابت لا يمكن أن نتخلى عنها ، وفي المقدمة من هذه الأسس والمبادئ والثوابت مبدأ الأرض مقابل الـــسلام

لقد أمكن التوصل إلى اتفاق عنوانه استعادة الجولان ، وعندما بدأ الحديث عن الترتيبات الأمنية ، فلقد كان موقف سورية موقفاً واضحاً ثابتاً جداً من هذه المسألة ، وهو أنه في إطار أية ترتيبات أمنية لابد أن تكون الأمور متوازية بيننا وبين إسرائيل ، ولقد جاء على لسان الرئيس حافظ الأسد قبل زيارته التاريخية والموفقة إلى فرنسا وأثناءها لقد قال : إن الترتيبات الأمنية التي اتفقنا عليها كانت تقوم على التوازن بمعنى إنه إذا كان الاتفاق سوف يشمل مساحة معينة من الأرض السورية متروعة السلاح ، فإن المساحة نفسها سوف تكون داخل الأراضي التي نسميها تجاوزاً أراضٍ إسرائيلية ، وهي أراضي عربية وأراضي فلسطينية بكُلّ تأكيد .

وكذلك فيما يتعلق بالقوات التي يمكن أن تكون موجودة عند كلا الطرفين قرب هذه المنطقة المتروعة السلاح ، فإنه لابد من أن تكون قوات متكافئة من حيث العدد ، ومن حيث العتاد ، بحيث لا يستطيع طرف أن يستفيد من أي خلل موجود في توازن القوى الموجودة على هذه الأرض .(٢)

لقد كانت مفاوضات تلك المرحلة بدايةً للجولة السادسة ، وفي عهد رابين تم التوصل إلى نقطتين أساسيتين :

١- موافقة إسرائيل على الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران 1967 من الجولان العربي السوري المحتل .

٢- أن تكون الترتيبات الأمنية متوازية ومتكافئة للطرفين .(٣)

وأرى بدّاً عند الحديث عن الترتيبات الأمنية من الإشارة إلى مفهوم الأمن الإسرائيلي ، حيث تشير الوثائق الإسرائيلية إلى أن الأمن وبالمفهوم العدواني كان له دوماً مكاناً في السياسة الإسرائيلية منذ نشأة الكيان الإسرائيلي، ويذهب " إيغال ألون " إلى القول : إن مبدأ الأمن

الإسرائيلي تمتد جذوره إلى فكرة بناء الدولة ذاتها وما يتضمنه من بناء قوة عسكرية رادعة لأن أي هزيمة عسكرية لإسرائيل تعني نهاية إسرائيل تماماً ، سواء على مستوى السكان أم على مستوى الوجود السياسي للدولة اليهودية ، ويضيف إن خسارة حرب واحدة تعني خسارة كل شيء .

وفق ذلك كله فإن مفهوم السلام الإسرائيلي إنما يقوم بدوره على القوة وإمكانيات الردع ، فيذكر إسحق شامير أنه طالما توجد القوة يوجد السلام ، فالقوة توفر الفرصة للسلام . ويرتبط بذلك ما ذكره شيمون بيريز من أن السلام يخدم الأمن .

وفي هذا السياق يمكن الحديث هنا عن الأبعاد الأربعة لمفهوم الأمن الإسرائيلي حسب تصورات ومزاعم المسؤولون الإسرائيليون :

١- ضمان التفوق العسكري المطلق على العرب ، حيث ينظر على حده ، ومن ثم يتم بناء التفوق العسكري الإسرائيلي بالنظر إلى جملة ما تمتلكه الدول العربية كلها .

٢- مفهوم الحرب الخاطفة ، تقوم استراتيجية الحرب الإسرائيلية على مفهوم الحرب الخاطفة ، وقصيرة المدى والحرب المكثفة ، ومن ثم تميل إسرائيل دائماً إلى حصر أعدائها في أقل عدد ممكن حتى يمكن التغلب عليهم ، وبسرعة وبكفاءة عالية .

٣- تقوم استراتيجية الأمن الإسرائيلي أيضاً على مفهوم الحرب الشاملة ، أي استخدام كافة أنواع الأسلحة بتنسيق متكامل ليس فقط من أجل إرباك قوات الخصم وإنما لإلحاق أكبر هزيمة ممكنة بقواته .

٤- تعتمد إسرائيل على مبدأ الحرب على أرض الغير .

ومن هنا حرصت إسرائيل في السنوات السابقة على ضرورة إيجاد

مناطق عازلة بينها وبين الدول العربية المجاورة ، الأمر الذي تتضح أهميته في أنه يميل محور سياسة التفاوض الإسرائيلي ، وهذا واضح بشكل جلي في عملية السلام الجارية ، إذ تحاول إسرائيل يائسة فرض حل فردي من جانبها حول الجولان العربي السوري ، ويظهر بأن إسرائيل تفهم شعار الأرض مقابل السلام بمعنى التخلي العربي عن الأرض مقابل استعداد إسرائيل لبحث سلام جدي مع العرب ، وكثيراً ما تدعي إسرائيل بأن سورية تعمل على تخزين السلاح ، بينما إسرائيل التي لا تترد في الحصول من أمريكا على أخطر أنواع الأسلحة .(٤)

إذاً لقد توقفت مفاوضات المرحلة الثانية في واي بلانتيشن عند نقطة عرفت بوديعة ((رابين)) والتي التزمت الولايات المتحدة الأمريكية الراعي الرئيسي لعملية السلام في الشرق الأوسط التزمت الصمت حيالها عقب اغتيال إسحق رابين 1995 .

لقد كشفت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية النقاب عن وثيقة بخط يد رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق إسحق رابين تؤكد الوديعة المشهورة بشأن الانسحاب الإسرائيلي الكامل من هضبة الجولان السورية المحتلة عام 1967 . وترد هذه الوثيقة في دفتر ملاحظات على شكل ثلاث ورقات دوّن فيها رابين ملاحظاته تحت عنوان لقاء مع وزير الخارجية الأمريكي " وارن كريستوفر " وتحت عنوان الموضوع السوري .

وأشار المراسل لصحيفة معاريف " بن كسبيت " إلى أنه حصل على هذه المعلومات من ابنة رابين عضو الكنيست " داليا رابين " .

وأشار بن كسبيت إلى أن كريستوفر أجرى جولات مكوكية بين دمشق وتل أبيب ، في محاولة للتجسير على الهوة التي تفصل بين المواقف السورية والإسرائيلية . وإنه بعد مقتل رابين جرى الحديث عن

وديعة سلمها رابين ، لوزير الخارجية الأمريكي ، وإن الوديعة تتضمن وعداً إسرائيلياً بالانسحاب الكامل من هضبة الجولان . وأوضح بأن سورية مازالت تصر على أنها حصلت على وعد صريح من رابين بالانسحاب الكامل والتام من هضبة الجولان ، وإن المقربين من رابين ينفون ذلك ، بينما ألتزم الأمريكيون الصمت .

فما الذي كتبه " رابين " تحت عنوان الموضوع السوري ؟ .

ويبدأ رابين بالقول : أبديت تقديري لمقاربة " الأسد " ثم يغوص في الجانب الجوهري : ما الذي تم الاتفاق عليه بيننا ؟

١- الاستعداد للانسحاب الكامل مقابل السلام الكامل بكل مقوماته .

٢- فترة الانسحاب ومراحلها .

٣- الجمع بين تنفيذ السلام الكامل قبل إتمام الانسحاب ، مع انسحاب طفيف .

٤- الترتيبات الأمنية .(٥)

كان رابين يسعى إلى تحويل الدبلوماسية الأمريكية إلى مغزل في المنطقة هدفه تطويق سورية ، والنيل من موقع عربي ظل عصياً على الكسر طوال سنوات المفاوضات السابقة واللاحقة ، لأنه وببساطة يعرف بأن النجاح هو حليف من اختاروا المستقبل دون أن يضلوا الطريق في متاهة الحاضر الواقع .

لقد ظلت دمشق تذكر " كريستوفر " الوزير الأمريكي بأن سورية تعرف مضمون السلام الإسرائيلي على العرب ، وهي أي إسرائيل تلجأ إلى الإنفراد والاستفراد وتقتنص التنازلات المعبر عنها بالحلول الفردية وتسعى إلى إنهاء المقاطعة ، وبدء التطبيع الثقافي والاقتصادي مع الدول العربية .

وعندما اجتمع الرئيس الراحل حافظ الأسد والأمريكي بيل كلينتون في جنيف في العام 1994 ، قال الأسـد لكلينتـون : إن دبلوماسـية واشنطن في المنطقة وليست دمشق هي من يقف على مفترق طرق ، وإن على الضغوط الأمريكية التوجه نحو إسرائيل لا نحو سورية ، إذا كـان كلينتون لا يريد مراكمة فشل إضافي على كومة كبرى من الفشل تلمها الآن سلة السياسة الخارجية الأمريكية ، أمّا إذا ظلت واشـنطن مـصرّة على منح الجائزة للمعتدي باسم السلام ، فإن عليها ألا تتوقع تحوّل قلعة دمشق إلى مجرد بيوت من الرمل على شاطئ السياسة الأمريكية . لحظتها فهم " كلينتون " إن مفاوضات سورية الحقيقية هي تلك الجاريـة مـع الولايات المتحدة ، وليست التي تجري على طـاولات واشـنطن مـع الإسرائيليين .

ويرى رابين بنفسه بأنه يقود إسرائيل بعقلية المحارب المحترف ، لكنَّه في ذات الوقت ظل يعرف الرئيس السوري حافظ الأسد يجيد السير على الحافة إلى النهاية التي يريدها .(٦)



الفصل الثاني

المباحثات السورية – الإسرائيلية

في عهد بيريز ونتنياهو

بعد اغتيال رابين على يد متطرف يهودي هو " ييجال عامير " جاء شيمون بيريز الذي تولى رئاسة الحكومة بعد مقتل رابين في نوفمبر 1995 وتحول في الوقت نفسه إلى زعيم لحزب العمل خلفاً لرابين .

ونذكرّ بأن " بيريز " هو أحد تلامذة " بن غوريون " مؤسس الدولة العبرية ، وقد أصبح وزيراً للحرب بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967 وهو بالصورة الأخيرة آنذاك أعطى الضوء الأخضر لبناء أولى المستوطنات في الضفة الغربية . كما إن بيريز كان قد تولى رئاسة الحكومة بين عامي 1984 – 1986 .

لقد توقفت العملية السلمية منذ إغتيال رابين فجاء بيريز وإعتمد سياسة كان يعتقد إنها سوف تكسبه الانتخابات الإسرائيلية المقبلة آنذاك لقد ارتكب العديد من الأخطاء العسكرية القاتلة معتقداً بأنها يمكن أن تعينه في الانتخابات ، وكان على رأس هذه الأخطاء ما قام به في لبنان من عمليات عسكرية ألحقت ضرراً بإسرائيل ، وخصوصاً بعد المجزرة البشعة التي ارتكبها وجيشه في قانا ، القرية الوادعة في لبنان وسقوط مئات القتلى والجرحى من أبناءها إثر القنابل التي أسقطتها الطائرات الإسرائيلية في حملةٍ بشعة ، وقحة ، أطلق عليها اسم عناقيد الغضب .(٧)

تابع كريستوفر خلال هذه الفترة جولاته المكوكية في منطقة الشرق الأوسط ، فكانت الجولة السابعة عشر إلى الشرق الأوسط ، ودمشق كانت هذه الجولة عشية الانتخابات الرئاسية الأمريكية ، والانتخابات العامة في إسرائيل والمحددة إثر اغتيال رابين في إسرائيل .

تذكر مجلة (المجلة) في عددها رقم 836 الصادرة بتاريخ 24 / 2 / 1996 نقل (مصطفى كركوتلي) هذا اللقاء وفيما يلي وقائع هذه الجولة ، والتي تأتي أهميتها من خلال الفترة الزمنية التي قامت بها فكلينتون ، والحزب الديمقراطي ، وبيريز ، وحزب العمل على مفترق طرق .

وقائع الجولة :

- الأسد : مرحباً ، أهلاً وسهلاً بك في دمشق للمرة 17 .

- كريستوفر : عفواً سيدي الرئيس ، أخشى أن لا تسأموا مني إذا ما تكررت زياراتي إليك .

- الأسد : كلا ، كلا ، طبعاً أننا مستعدون للترحيب بك 17 مرة أخرى قبل موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية والانتخابات العامة الإسرائيلية .

- كريستوفر : أنا أعرف سيدي الرئيس ، أنا والرئيس كلينتون لا نشك على الإطلاق بنظرتك الثاقبة إلى الأمور وصدرك الرحب ، تحيات حارة جداً من السيد الرئيس كلينتون .

- الأسد : أشكر هذه المشاعر أنت والرئيس كلينتون ، الذي أكن له بالفعل الاحترام لأنه رجل يحترم كلمته .

- كريستوفر : والعكس بالعكس ، سيدي الرئيس ، نحن نعتمد عليك بثقة كاملة لاستكمال شوط المفاوضات حتى النهاية ونُقدر جيداً دورك وموقع بلادك المركزي في تحقيق السلام الشامل في الشرق

الأوسط .

- الأسد : لا أريد أن أطيل عليك ، ولكن دعني أذكرك بموقف سورية وإلتزامها بشروط السلام التي وضعتها الولايات المتحدة مع الراعي الروسي ، وقدم الرئيس السوري تلخيصاً موجزاً للموقف من دون أية محاولة للمقاطعة .

- كريستوفر : نعرف ونقدر ذلك سيدي .

- الأسد : قلنا لكم وللإسرائيليين ، نحن نتفهم الهاجس الأمني بالنسبة إلى إسرائيل ، ولكن ينبغي تفهم الهاجس الأمني بالنسبة لسورية حيث تقع عاصمتنا على مرمى المدفعية الإسرائيلية .

- كريستوفر : طبعاً هذا حقكم ، وهناك أيضاً مشكلة المياه .

- الأسد : طبعاً سآتي على ذلك لاحقاً .

- كريستوفر : أحب أن أؤكد لكم سيدي ، إننا عند التزاماتنا ولن نغير الموقف على الإطلاق .

- الأسد : كيف تفسر إذاً هذا التصعيد العسكري ، حيث بات السيد شيمون بيريز وكأنه قد استنهض إسحق رابين من قبره ، بعد أن قلنا إنه بيريز واقعي ويختلف عن سلفه .

- كريستوفر : سيدي الرئيس ، دعني أقول لك شيئاً قد لا يكون غريباً على الرغم من إختلاف نظام الحكم في بلادكم ، وفي إسرائيل .

- الأسد : إنني أصغي (ينظر نحو المترجم الذي يعتدل في جلسته) بشأن عملية السلام ، وبالتحديد إيلاء موضوع التفاوض معكم لا يخدم إلا غرضاً واحداً وهو الوضع الداخلي في إسرائيل عشية الانتخابات .

- كريستوفر : نعتقد ذلك سيدي ، هذا ما فهمناه من وزير الخارجية الإسرائيلي إيهود باراك ، عندما زارنا في واشنطن ، لقد أوضح لنا كل شيء ، وأكد هذا الأمر ، وطلب أن نوضح لكم ذلك .

- الأسد : نحن قلنا في السابق ، إننا نتفاءل خيراً بوجود بيريز كخليفة لرابين ولا نزال عند كلمتنا ، ولا نقبل بغير ذلك .

- كريستوفر : يبدو إنهم (الإسرائيليون) أدركوا إن تقديم موعد الانتخابات سيعزز حظوظ العودة للعمل الحاكم إلى السلطة مع زيادة الأغلبية بحدود ثلاثة أصوات ، وهذا في حد ذاته سيساعد الحكومة الإسرائيلية المقبلة على التوقيع على إتفاق يرضي الطرفين السوري – اللبناني ، وينهي بسرعة الموضوع اللبناني .

- الأسد : (يتطلع بساعة يده) لا تؤاخذني ، لقد أطلت عليك رغم وضوح المسائل .

- كريستوفر : يسرني دائما لقائكم سيدي .

- الأسد : نحن متفهمون ومستعدون للتريث ، وقلت لكم في البداية إننا مستعدون للترحيب بكم في دمشق 17 مرة أخرى قبل انتخاباتهم وانتخاباتكم ما دام ذلك يخدم هدف السلام في المنطقة ، وما دمتم أنتم متمسكون بالثوابت .

- كريستوفر : نحن على العهد ، وقد أكد لي الرئيس كلينتون هذه المسألة قبل توجهي إلى المنطقة فكن مطمئناً .

- الأسد : أنا مطمئن .

- كريستوفر : إذاً لنتفق على موعد لاستئناف المفاوضات في واي بلانتيشن .

- الأسد : نحن مستعدون ، وسأترك الأمر لمباحثاتك مع وزير خارجيتنا فاروق الشرع .

- كريستوفر: شكراً سيدي .(٨)

لقد ظلت دمشق تذكر الولايات المتحدة الأمريكية عبر وزيرها كريستوفر بأنها تسعى إلى السلام ، وتؤمن به ، وبالوقت نفسه عبر

تمسكها بالثوابت وحقوقها المشروعة في استعادة الجولان كاملاً لسورية وإنها مع كل ما من شأنه أن يخدم السلام هدفاً ومضموناً ملتزمة بشروط السلام التي وضعتها الولايات المتحدة مع الراعي الروسي .

جمدت العملية السلمية بانتظار الانتخابات الإسرائيلية وجرت الانتخابات في أواخر أيار من العام 1996 . تمكن خلالها اليمين الإسرائيلي ممثلاً بالليكود والأحزاب اليمينية المتطرفة من أن يحصل على الأغلبية ، وأن يصل إلى السلطة في إسرائيل . وكان هناك تعديل أتفق عليه في نظام تسمية رئيس الوزراء الإسرائيلي وكان رئيس الوزراء سابقاً يسمى ويعطى الثقة من قبل المؤسسة البرلمانية التي يسمونها الكنيست لكن حزب العمل والأحزاب الأخرى اتفقوا فيما بينهم على تغيير هذا النظام ، واعتمدوا نظاماً بديلاً هو نظام انتخاب رئيس الوزراء من قبل الإسرائيليين مباشرة ، وبالتالي أصبح رئيس الوزراء يمتلك سلطة أقوى من السلطة التي كان يمتلكها رئيس الوزراء في النظام السياسي الذي سبق ، هذا الأسلوب الجديد في اختيار رئيس الوزراء في إسرائيل .

وبالفعل فإن (نتنياهو) حصل على الأغلبية اللازمة لكي يصبح رئيساً للوزراء ، وحصل حزبه معه على نسبة لا بأس بها في الكنيست، وتحالف الليكود مع عدد من الأحزاب اليمينية المتطرفة .(٩)

وبذلك جاء نتنياهو إلى السلطة في حزيران من العام 1996 . لقد حاولت حكومة اليمين المتطرفة في إسرائيل بزعامة نتنياهو استئناف المفاوضات مع سورية دون شروط مسبقة ، ثم محاولة إضعاف الموقف السوري عبر طرحهم ((لبنان أولاً)) والهادف إلى فصل المسار السوري عن المسار اللبناني ، وفرض مخططات الهيمنة على لبنان .

لكن لم يدرك هؤلاء بأن السوريون لا ينحنون أمام الضغوط

وهو ليس بالأمر الجديد عليهم ، والشعب السوري قد دفع ثمن ذلك سنوات طويلة من حالة الصراع هذه ، ولم ينكسر ، ويتوهم وبحق أيساً كان أن يتخيل غير هذه الحقيقة .

بعد حديث لـ " ديفيد ليفي " أثناء اجتماع القادة العرب في القمة العربية في القاهرة في حزيران / يونيو 1996 والذي قال فيه :

إن هناك إمكان لحل في منتصف الطريق مع سورية بما يشمل تعديل الحدود ، إلا إن رئيس الوزراء نتنياهو اعتبر ذلك موقفاً غير رسمي فالمفاوضات مع سورية ستركز فقط على الأمن ولا مجال لبحث الانسحاب ، وبخصوص قرارات القمة قال نتنياهو : إن السلام هدف إسرائيل الاستراتيجي ، ولكن يجب أن تتواصل المسيرة السلمية بدون شروط مسبقة ودون أن تتحدد نتائجها مسبقاً ، وتابع بأن قرارات القمة تهزأ بأمن إسرائيل ، وتتضمن بنود خطيرة على عملية السلام .

لقد أوضح عدو السلام الأول وبصريح العبارة ، لا انسحاب من الجولان ، لا تفاوض حول مستقبل القدس ، لا التزام ببقية بنود اتفاق أوسلو ، حتى لو كان ذلك على حساب العلاقة مع واشنطن .(١٠)

لقد حددت حكومة اليمين والمتدينون إن المفاوضات النهائية يجب أن تقود إلى بقاء الجولان السوري تحت السيادة الإسرائيلية .(١١)

وفي أول جولة لها في المنطقة أيلول 1997 كانت دمشق إحدى محطاتها الرئيسية ، وخلال لقاءها مع الرئيس حافظ الأسد ، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبريت) قالت للسيد الرئيس : قبل أن أحضر للقائكم كنت حريصة على أن أعرفكم وأعرف أكثر مما يمكن لأضمن نجاحي في مهمتي ، وهكذا فقد استمعت إلى كل من الرئيس بيل كلينتون ، والرئيسين السابقين جورج بوش ، وجيمي كارتر ، ثم إلى أسلافي الوزراء هنري كيسنجر ، وجيمس بيكر ، ووارن

كريستوفر ، ولقد أفادوني كثيراً بملاحظاتهم ، وسجلت كم يحفظون لكم من التقدير ، حتى أكد لي معظمهم أن لقائي معكم سيكون أهم محطة في جولتي . كذلك كان ثمة إجماع على أنكم السيد الرئيس ، شخصية استثنائية ، تتسم بالصلابة والثبات على الموقف وتلتزمون بما تتعهدون به .

وبعد جولاتها في المنطقة خلصت أولبرايت الوزيرة الأمريكية برأيين متناقضين عن إسرائيل والدول العربية ، وقد عبّرت أولبرايت عن ذلك بقولها : لقد أطلعت عن كثب على خطورة السياسة التي يمارسها رئيس وزراء إسرائيل تجاه عملية السلام في المنطقة . وعن الجانب العربي ذكرت أولبرايت بأنه أظهروا إرادة طيبة وإيجابية لتحريك العملية السلمية وفق المبادئ التي انطلقت منها ، وقالت : الآن أدركت العقبة الأساسية التي تقف في وجه انطلاق عملية السلام ، أي إسرائيل ورئيس وزرائها .(١٢)

وعن عمد اخترنا هذا التصريح الصادر عن مسؤولة أمريكية رفيعة المستوى بخصوص عملية السلام في الشرق الأوسط ، وبأكثر خصوصية بحق حكومة اليمين المتطرفة ممثلة برئيس وزرائها نتنياهو عدو السلام الأول . التي عبرت عنهم بأنهم من يقفون عقبة في أي انطلاقة لعملية السلام ، لا الدول العربية ، أو سورية .

يميز هذه المرحلة من عمر العملية السلمية التحرك السوري باتجاه الدول الأوروبية ، ليكون لها دور فاعل في العملية السلمية خاصة بغياب الدور الروسي ، الذي جعل الإدارة الأمريكية غير قادرة على المحافظة على دورها في تفعيل عملية السلام في المنطقة .

بالفعل لقد كان هناك تحركاً سورية نحو الدول الأوروبية ، هدفه الحصول على مشاركة أوروبية راعية إلى جانب الراعي الأمريكي

في عمليـــة الســـلام في الشـــرق الأوســـط ، وللمشاركة في الجهـــود المبذولة . وقد عبرت الترويكا الأمريكية عن مدى فعالية الدور الأوروبي بعد أن استطاعت سورية أن تحقق تحولاً إيجابياً في تنشيط وتفعيل هـــذا الدور الأوروبي في المنطقة ، ذلك أن الموقف السوري كان يـــرى أنـــه بغياب الدور الأوروبي والروسي ، قد جعل الإدارة الأمريكية غير قادرة على المحافظة على دورها في تفعيل عملية الـــسلام ، ذلـــك إن الـــدور الأوروبي قد اقتصر خلال السنوات التي انقضت على مؤتمر السلام على الجوانب الاقتصادية ، مما عكس هذا الوضع تصورات أوروبية قاصـــرة الحقيقة للتطورات في المنطقة ورؤية خاطئة فيما يتعلق بأزمـــة الـــصراع العربي الإسرائيلي .(١٣)

أزمة الصراع هذه والتي كانت موضوع بحـــث أول دورة للحـــوار العربي – الأوربي والتي انعقدت في لوكسمبورغ عام 1976 وإن هـــذه الدبلوماسية لسورية ارتكزت على خلفية تاريخية سياسية كان لأوروبـــا دوراً سلبياً فيها .

لقد حاولت المجموعة الأوروبية منذ أن قامـــت إســـرائيل بعـــدوان حزيران 1967 أن تقف موقفاً حيادياً تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي وتطوراته ، وحتى هذا الموقف السلبي يعتبر أفضل نسبياً مـــن المواقـــف السابقة الداعمة لإسرائيل .

ومن المعروف أن بريطانية ، وفرنسا ، وألمانية من هذه المجموعة قـــد أسهمت من خلال مخططاتها الاستعمارية في المنطقة العربيـــة في خلـــق إسرائيل ، حيث كانت تعلق هذه الدول أهمية كبرى على وجود إسرائيل في المنطقة باعتبارها تشكل جسراً يربطها بالمنطقة العربية ، وقوة متقدمة لها تحمي مصالحها ، إلا أن إسرائيل سرعان ما أدارت ظهرهـــا للغـــرب وربطت مصيرها كلياً بالولايات المتحدة الأمريكية فشكل ذلك حـــافزاً

لدى الغرب لتحسين علاقاته مع الدول العربية حفاظاً على مصالحه السياسية والاقتصادية .(١٤)

وهذا الموضوع بدوره يستلزم شرحاً موجزاً عن الرغبة وعدم الرغبة من قبل الإدارة الأمريكية في أن يكون هناك دوراً لأوروبة في عملية السلام في الشرق الأوسط .

وهناك تحليلات كثيرة في هذا المجال :

أولاً : تحليل يرى أن الإدارة الأمريكية مستاءة من التحرك الأوربي في هذا المجال ، ومن التحرك الفرنسي على وجه التحديد ، باعتبار أن أمريكا تريد أن تنفرد بالعملية السلمية ولا تريد لها شريكاً في هذه العملية على الإطلاق ، وبالتحديد فرنسا .

ثانياً : رأي آخر يقول أن الإدارة الأمريكية ترى في هذا الدور الأوروبي ، وفي الدور الفرنسي على وجه التحديد عنصراً فاعلاً ومؤثراً في ممارسة ضغط على حكومة نتنياهو يساعد الإدارة الأمريكية في تحقيق ما تسعى إليه وتعلنه .(١٥)

وبالتحديد فرنسا ، تستلزم هذه العبارة وقفة ، فلماذا فرنسا ؟

حيث باتت فرنسا مع (جاك شيراك) الوارث الشرعي للإرث الديغولي ، والذي بدأ يسعى لإعطاء دفع جديد لسياسة فرنسا الخارجية ويعيد إليها مصداقيتها التي افتقدها ، وذلك عبر انتهاج خطين متوازنين يؤديان إلى النتيجة المرجوة ، دون أن يؤدي ذلك إلى أية مواجهة ولو دبلوماسية حتى ، ويتضح ذلك من تجارب فرنسا النووية مع وصول شيراك إلى سدة الرئاسة . وفي قمة شرم الشيخ أيضاً وموقفها من قضية التمييز بين المقاومة والإرهاب ، فضلاً عن احتضان فرنسا مشروع تفعيل الحوار بين شطري المتوسط عبر تنظيم مؤتمر برشلونة 1995 ومحاولتها ضخ دماء جديدة في شرايين العلاقات الفرنسية – العربية .

وفي دمشق وفي عام 1996 فتح شيراك صفحة جديدة في العلاقات الفرنسية – السورية وبدأ بالدفاع الصريح عن المواقف السورية في النزاع مع إسرائيل ، إذ أكّد في أحاديثه وخطبه على ضرورة استعادة الجولان كشرط للسلام ، وعدم فصل المسار اللبناني في الحل ، مع ضرورة البناء على الاتفاقات السابقة ، وعدم الانطلاق من نقطة الصفر ، كما أنه تعاطى بإيجابية مع الدعوة السورية إلى تحالف سوري – فرنسي تحدث عنه ديغول في إحدى خطبه غداة نيل سورية استقلالها عن الانتداب الفرنسي . والجدير بالذكر بأن العودة الفرنسية إلى دمشق سبقتها مبادرة سورية مهمة للغاية لفرنسا ، ذلك إن الرئيس الراحل حافظ الأسد أتاح لفرنسا ولأول مرة منذ سنوات فرصة تعتبر تاريخية للعودة الميدانية إلى حلبة الصراع العربي – الإسرائيلي وكان ذلك من خلال لجنة تفاهم نيسان في جنوب لبنان ، والتي عارضتا الولايات المتحدة وإسرائيل تلك المبادرة وبقوة ، يدلل عليها رسالة حملها الوزير الأمريكي كريستوفر إلى قادة الاتحاد الأوروبي 1996 مفادها بأن عليهم ألا يتدخلوا في العملية السلمية في الشرق الأوسط ، استجاب البعض في الوقت الذي لم تعبأ فرنسا بهذا التحذير .(١٦)

الفصل الثالث

المباحثات السورية – الإسرائيلية في

عهد باراك

حزب العمل يعود من جديد إلى سدة رئاسة الحكومة في إسرائيل مع " ايهودا باراك " الرئيس العمالي للحكومة الإسرائيلية .

استؤنفت المفاوضات السورية – الإسرائيلية ولكن جـــرت جهـــوداً دولية مكثفة قبل الإعلان عن استئناف المفاوضات السورية – الإسرائيلية ومن النقطة التي توقفت عندها ، وهو ما أعلنه الرئيس الأمريكـــي بيـــل كلينتون في ولايته الثانية . وهذه الجهود المكثفة بذلت من جهات دولية متعددة بعضها أمريكي ، وبعضها أوروبي فرنسي ، وبريطاني .(١٧)

ومعلوماً بأن المباحثات السورية – الإسرائيلية كانت قد توقفت بعد إغتيال رئيـــس الوزراء الإسرائيـــلي (رابيـــن) في العـــام 1995 وكانت قد جمدت في عهد (بيريز) واغتيلت في عهد عـــدو الـــسلام الأول (نتنياهو) وقد لعبت تلك الجهود الدولية المكثفة دوراً في موافقة سورية على استئنـــاف المفاوضات والمباحثـــات ، ولكن كان هنـــاك نوع من الغموض والتعتيم الإعلامي الذي ترافق مع تلبية سورية الدعوة ولكن مهما يكن ، فالموقف السوري بدا واضحاً وثابتاً ، وصميم هـــذا

الموقف هو أن تعود المفاوضات من ما انتهت عليه سابقاً وهي النقطة التي توقفت عندها ، أي الانسحاب الكامل إلى خطوط الرابع من حزيران عام 1967 واستعادة الجولان العربي السوري للسيادة السورية كاملاً غير منقوص .

لقد استعملت " أولبرايت " في وصفها لما ينبغي أن تكون عليه المباحثات مصطلحاً غريباً بعض الشيء ، قالت : إن هذه المفاوضات يجب أن تتم في الظلام تماماً مثل الفطر الذي لا يعيش ولا ينمو ولا يكبر إلا في الظلام .

كان هناك نوع من التعتيم الإعلامي على ما سبق استئناف المفاوضات ، ولكن من المؤكد أنه ما كان لسورية أن تذهب إلى واشنطن ، وما كان للرئيس حافظ الأسد أن يوافق على استئناف المباحثات من النقطة التي توقفت عندها ، وهو شرط سوري ظلت سورية متمسكة به على امتداد السنوات المديدة لولا ضمانات أمريكية ولولا ضمانات من الرئيس كلينتون شخصياً الحريص آنذاك على إنجاز تاريخي يختتم به ولايته ، والذي أجرى مع الرئيس حافظ الأسد عدداً كبيراً من الاتصالات الهاتفية يقال إنها في حدود / 22 / اتصالاً وإن الرئيس كلينتون قال للرئيس الأسد ، إن لديه ما يدعوه للقول إن باراك على استعداد للموافقة على الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران 1967 .

هذه المعطيات الدولية ، وهذه الاتصالات المكثفة التي جرت مع

سورية لعبت دوراً هاماً وأساسياً في قرار سورية على الموافقة على استئناف المفاوضات.(١٨)

وبعد الموافقة على استئناف المباحثات جرى نقاش حول مسألة لقاء رئيس الوزراء (ايهود باراك) مقابل وزير الخارجية (فاروق الشرع) حسم الرئيس الأسد هذه المسألة بقوله للرئيس الأمريكي كلينتون بأن فاروق الشرع يمثلني شخصياً .

اتجهت الأنظار إلى (شيبردزتاون) في ولاية فرجينيا الأمريكية ، حيث عادت المحادثات على المسار السوري إلى الانعقاد من جديد بعد توقف استهلك سنوات عدة بفعل ظروف ومناخات غير ملائمة أفرزتها سياسة إسرائيل التي تنكرت لمعطيات العملية السلمية وأسسها المعروفة . وكما هو معلوم فإن الانطلاقة الجديدة تمت على أساس العودة إلى المباحثات من النقطة التي توقفت عندها ، ولا سيما بخصوص الالتزام بالانسحاب الكامل من الجولان حتى خطوط الرابع من حزيران 1967 وعلى أساس الالتزام بتطبيق قرارات مجلس الأمن الدولي وبدت الإدارة الأمريكية هذه المرة عازمة على القيام بدور الرعاية سواء عن طريق الطاقم الأمريكي المعني بعملية السلام ، أو عن طريق الوزيرة اولبرايت ، وقبل هذا وذاك عن طريق الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي أكد وبشكل عملي استعداده للتواجد شخصياً كلما لزم الأمر ، إلى درجة جعل برنامجه اليومي ملائماً لمحادثات شيبردزتاون ولتأكيد هذه الجدية ، أعلن الرئيس كلينتون شخصياً عن معاودة

استئناف المفاوضات وأبلغ ذلك إلى الجانبين السوري والإسرائيلي .

غير أن الأيام العديدة التي انصرمت من عمر المحادثات منذ استئنافها كشفت عن معاودة إسرائيل اللجوء إلى ممارسة سياسات تشبه إلى حد كبير ما سبق وأن مارسته من سياسات ، فقد أعلن باراك وبعد أسبوع على محادثات شيبردزتاون ، بأن العملية مضنية وشاقة ولا يعرف متى ستنتهي . ومثل هذا التصريح يتناقض مع ما أشيع من أجواء قبل معاودة المحادثات ، أو مع تلك الأجواء التي مهدت الطريق إلى الإعلان الأمريكي عن استئنافها من جديد .

ولم تخفِ الأوساط الإعلامية حجم الصعوبات التي تحيط بأجواء شيبردزتاون ، لكنها بالمقابل كانت واضحة في التأكيد على ما أعطاه الوفد السوري من انطباع حول الصلابة التي تميز بها ، والتي تستند إلى تاريخ من المواقف السورية تجاه عملية السلام، المصرّة على كامل الجولان دون تنازل أو مساومة على شبر واحد من الأرض .(١٩)

انبثقت عن محادثات شيبردزتاون التفاوضية السورية – الإسرائيلية وبالرعاية الأمريكية المباشرة تشكيل لجان أربع هي :

- لجنة ترسيم الحدود .
- لجنة الترتيبات الأمنية .
- لجنة علاقات السلم العادية .
- لجنة المياه .

وقد أكد الجانب السوري لدى تشكيل هذه اللجان ، إن دور لجنة

الحدود هو ترسيم خط الرابع من حزيران ، وليس الخوض في مناقشات موضوع الحدود ، يذكر بأن اللواء " إبراهيم عمر " ترأس لجنة ترسيم الحدود ، واللواء " حسن خليل " عضواً في هذه اللجنة .

وقد تقدم الجانب الأمريكي خلال هذه الجولة بمسودة وثيقة عمل فيما عقدت اللجان الأربع على أن تكون اجتماعاتها متزامنة ، لكن غموض الموقف الإسرائيلي خلال هذه اللقاءات ، وفي محادثات اللجان بالنسبة لموضوع الحدود ، ومحاولته أن يعيق عمل لجنة ترسيم خط الرابع من حزيران حال دون تحقيق تقدم فعلي في عمل هذه اللجنة ، وباقي اللجان الأخرى .(٢٠)

الإدارة الأمريكية قالت إن دمشق بذلت جهوداً جبارة خلال الآونة الأخيرة ، فسهلت أولاً استئناف المفاوضات .

وأكدت أوساط دمشق إن ما لمسه المفاوض السوري إن إسرائيل ترى في المفاوضات هدفاً ، في حين إنها وسيلة لتحقيق السلام العادل والشامل ، القائم على قرارات الشرعية الدولية ، وصيغة الأرض مقابل السلام ، وتقول هذه الأوساط ، إن إسرائيل قتلت جولتي المفاوضات بالمناورة والخداع ، والالتفاف على الأساسيات من اجل التهرب من التزامات بديهية ، وإن المفاوض الإسرائيلي عمل على تعطيل عمل اللجان الأربع ، وإدخال الجولة الثانية في متاهات لا حصر لها ولا خروج منها ، وهذا ما أدى إلى تعطيل تلك الجولة والوصول بها إلى الطريق المسدود دون نتائج .

بعد ذلك أوضحت سورية للأشقاء ، والأصدقاء حقيقة موقفها وملاحظاتها على جولة المفاوضات الثانية ، ومع أنها لا ترى فائدة ترتجى من العودة إلى طاولة المفاوضات إذا كانت على غرار الجولة السابقة ومع ذلك لم تطلب سورية أي تأجيل للمفاوضات بل إن مطالبها انحصرت في أن تحترم إسرائيل ما أتفق عليه في الماضي بخصوص الانسحاب من الجولان السوري المحتل ، وبإعطاء الأولية في المفاوضات للجنة ترسيم الحدود ، حدود الرابع من حزيران وليس للجنة علاقات السلم العادية أو المياه .

فإسرائيل تجاهلت الأسس التي استؤنفت على أساسها المفاوضات فعندما أعلن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون عن استئناف المفاوضات أشار بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن استئناف المفاوضات سيتم من النقطة التي توقفت عندها كما كانت تطالب سورية ، أي من التعهد الذي ألزم رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق رابين ، وحكومته بالانسحاب من الجولان إلى خط الرابع من حزيران / يونيو 1967 .

وعلى هذا الأساس فإن مسألة الانسحاب من الجولان الانسحاب الكامل بالنسبة إلى سورية أصبحت من الماضي ، أما المفاوضات فيجب أن تركز على الحاضر والمستقبل ، أي يجب أن تركز على ترسيم تلك الحدود ، وليس بحث عملية التطبيع مع سورية .(٢١)

وعموماً فإن الاتفاقيات المنقوصة ، والمشوهة ، والمضللة لن يكون لها مكان في تفكير ونهج وقيادة وشعب سورية ، التي يعني السلام بالنسبة

إليها أولاً الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الجولان السوري المحتل حتى حدود الرابع من حزيران 1967 واستعادة السيادة السورية الكاملة عليه ، وثانياً المسائل الأخرى والمرتبطة بهذا المبدأ والشرط والذي يعتبر أكثر من رئيسي ، وهو كان من شأنه أن يضخ دماءً في شرايين هذه المحادثات ، وبالتالي يكفل لها النجاح على طاولات واشنطن ، بينما مازالت إسرائيل المغتصب للحق العربي تمارس غطرسة وعنجهية لا يمكن تفسيرهما إلا بأنهما محاولة لانتزاع تنازلات ومكتسبات بغير حق قانوني ، أو إنساني ، أو شرعي .

وهذا المنطق ما يحدد الطبيعة الإسرائيلية للسلام التي تتجاوز موضوع الترتيبات الأمنية في الجولان ، وموضوع المياه ، وموضوع علاقات السلم العادية ، وحتى ترسيم الحدود ، ورغم أهمية هذه العناصر وضرورة أن تكون قد سارت جنباً إلى جنب انطلاقاً من ترسيم الحدود ، إلا أن حقيقة الموقف الإسرائيلي تكمن في الرؤية الإسرائيلية لموضوع السلام الذي نظرت وتنظر إليه الحكومات الإسرائيلية المختلفة على إنه صفقة كاملة تشمل جميع المسارات ، وتحدد شكل المنطقة بالمستقبل ، ونذكر بأن المحادثات السابقة المتوقفة عام 1996 انتهت إلى موافقة رابين في وديعته الشهيرة على مبدأ الانسحاب الكامل وهو ما شكل نقطة البداية الضرورية لإنهاء نقطة الارتباك في معادلة السلام .

بالإضافة إلى ما تقدم يمكن الإشارة إلى بعض الصعوبات التي شكلت عائقاً أمام العملية السلمية ودفعها إلى نهايتها المنشودة ، والتي ستكون

بمثابة ختام الفصل البحثي الخاص بغمرة المفاوضات العربية السورية مع إسرائيل ، وهي النقاط التالية :

أولاً : عدم جدية إسرائيل من الانسحاب الكامل من الجولان وتبرز هنا أهمية الدور الأمريكي الذي يجب أن يمارس الضغط على إسرائيل لحسم موقفها من هذا الشرط الذي يشكل جوهر السلام .

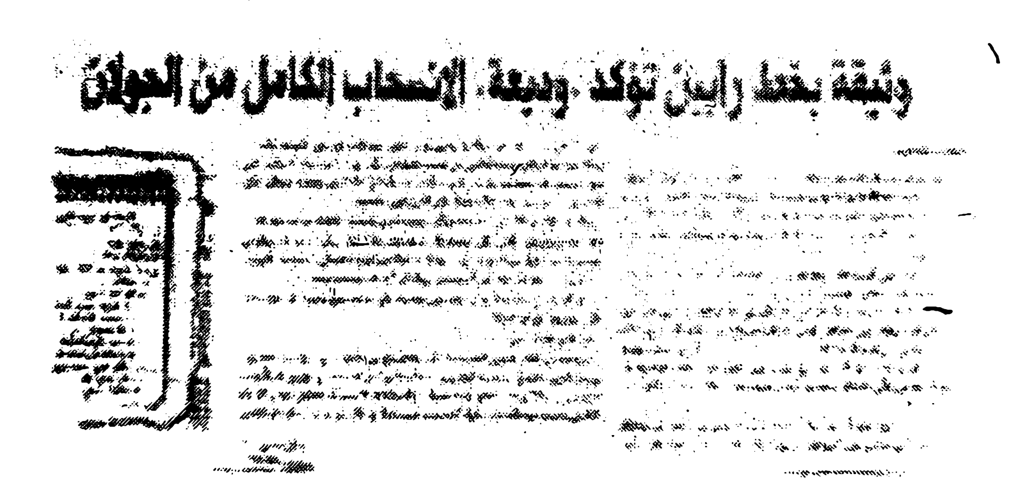
ثانياً : محاولة إسرائيل تحقيق تسوية وليس اتفاق سلام متكامل مع سورية استناداً إلى ما حققته سابقاً من تسويات منقوصة مع بعض الأطراف العربية ، واعتقادها بان سلام عادل وشامل مع سورية يعني بالنسبة إليها إعطاء ميزات للمسار السوري قد تؤثر على المسارات الأخرى .

ثالثاً : تناقض وتباين الهدف من السلام ، فسورية تفهم وتعمل من أجل السلام وفقاً لمبدأ الأرض مقابل السلام ، القائم على القرارات الدولية 242 و 338 و 425 بينما تعمل إسرائيل حتى الآن لعقد تسوية وليس اتفاق سلام عادل وشامل .(٢٢)

وعلى إسرائيل إذا ما أرادت السلام أن تلتزم بأسس عملية السلام وبوديعة (رابين) وعليها أن تدرك بان الانسحاب الكامل من الجولان وإلى خط الرابع من حزيران 1967 هو مفتاح السلام والأمن والاستقرار في المنطقة . وعليها أن لا تتوهم غير ذلك وعليها إن تدرك بأن هناك حقيقة تقول بأن سورية لن تقدم أية تنازلات بالخصوص السابق لاعتبارات عدة ، منها بأن سورية تدافع عن الحق العربي والحق السوري

في هضبة الجولان ، وتدافع عن الكرامة الوطنية والقومية في جملة ذلك الحق، ولإنها الضمانة الحقيقة لإحلال سلام عادل وشامل ودائم في المنطقة .

هذا هو الموقف الثابت لسورية خلال مسيرة المفاوضات ، والذي نال احترام الشقيق والصديق ، وحتى العدو واحترام الرأي العام العالمي والذي لم ولن يتغير خلال السنوات الماضية ، ولا حتى خلال السنوات القادمة ، وما بعد القادمة .



وثيقة بخط رابين تؤكد وديعة الانسحاب الكامل من الجولان



الشرع - كلينتون - أولبريت - باراك

بالرغم من كل مباحثات السلام والمفاوضات التي جرت تحت هـذا العنوان مع إسرائيل ابتداءً من مؤتمر مدريد الذي ترأس فيه اسحق شامير الوفد الإسرائيلي ، وابتداءً من أكثر المفاوضين تشدداً وانتهاءً بـأكثرهم مرونة ، فأقلهم تشدداً لا يقل عن أكثرهم مرونة في عدم الصدق بنيته للسلام ، وهم إن أظهروا ذلك فهم ليس مثلهم في نقض العهود والمواثيق والتي لا تعني شيء بالنسبة إليهم ، ولهم باع طويل في نقـض العهـود والمواثيق وتاريخهم الطويل شاهد والديانات كلها تشهد عليهم ، وتاريخنا المعاصر وتجربتهم مع السلطة الفلسـطينية التي انفردوا بمفاوضاتها معهم تشهد عليهم ، حيث أنها ما تلبث أن تتفق معهم على اتفاقية ثم تـسارع إلى نقضها متذرعة بأتفه الذرائع وأزيفها .

و لم تدخل سورية مع إسرائيل بمفاوضات سـلام لجهلـها بحاضـر إسرائيل وماضيها ، فليس أدرى وأعلم من سورية بحقيقـة إسـرائيل فسورية دخلت المفاوضات بسبب الرغبة الحقيقية بالسلام والذي يتفـق مع استراتيجياتها ، وترافق السبب الأول بآخر وهو ليس أقل أهمية مـن السبب الأول وهو أن تكشف حقيقة إسرائيل وحقيقة الـسلام الـذي تدعيه فمن ابتدأ الحروب واغتصب الأراضي ولا زال يفتعل الأسـباب

المؤدية للحروب لن يكون أبداً من دعاة سلام .

إن ما حرر من الجولان لم تحققه مباحثات سلام وإنما حـــرر بقـــوة السلاح بقيادة القائد الخالد حافظ الأسد في تـــشرين الحـــرب العربيـــة الإسرائيلية الرابعة ، والتي أكدت قول القائد الخالد جمال عبـــد الناصـــر الذي أصبح شعاراً يطلقه العرب من المحيـــط إلى الخليج ، الشعار الذي كتب على جدار استشهد بجانبه الطفل محمد الـــدرة برصـــاص العـــدو الصهيوني الذي ما فرق أبداً بين طفل ، أو شيخ ، أو امرأة ، هذا الشعار هو ((ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة)) .

الفصل الرابع

الجولان في فكر الرئيس بشار الأسد

15 حزيران – يونيو 2000 ودّعت سورية والعالم العربي وقادة وزعماء العالم الرئيس حافظ الأسد رحمه الله إلى مثواه الأخير في مسقط رأسه (القرداحة) في محافظة اللاذقية .

وعلى مدى ثلاثة عقود من حكم هذا القائد الكبير قضاها في الكفاح في سبيل الشعب والوطن ، وبناء سورية الحديثة استطاع بعبقرية قلّ نظيرها أن يجعل من سورية قوة إقليمية لا يمكن تجاوزها .

قال الرئيس الفرنسي جاك شيراك : إن الرئيس حافظ الأسد كان رجل دولة متمسّك بعظمة بلاده وقدر الأمة العربية ، وقد طبع التاريخ على مدى ثلاثة عقود .

بايع الشعب العربي في سورية بالإجماع الدكتور بشار حافظ الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية ، يتابع المسيرة التي بدأ بها القائد الخالد حافظ الأسد ، واستمراراً لثوابته الوطنية والقومية ولخط التطور والبناء ومتابعة المسيرة بعون الله والشعب .

وفي خطاب القسم حدد السيد الرئيس ملامح الطريق المقبل وما سيؤول إليه على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية .

وفيما يخص الناحية السياسية أكد السيد الرئيس التزام بلادنا بعملية

السلام في الشرق الأوسط ، هدفاً إستراتيجياً لسورية والتزامنا بالعمليـــة ورغبتنا بالسلام كمطلب تفصح عنه النوايا التي تكنّها ســورية قيــادةً وشعباً حيال السلام شكلاً ومضمون ، السلام الذي يعيد حقوقنا المتمثلة في استعادة الجولان العربي السوري كاملاً غير منقوص لذرة من تــراب لسيادة سورية الأم الشرعي ، والقانوني لهذه الأرض التي أسرها إسرائيل باحتلالها الغاشم والآثم عام 1967 السلام الذي قبلنا فيه وفــق صــيغة مدريد، ووفق قرارات الأمم المتحدة 242 ــ 338 .

لقد حظي الجولان ومازال باهتمام بالغ في فكر الرئيس بشار الأسد باعتباره هماً وطنياً ، فلقد جاء في خطاب القسم .. تحريــر الجــولان في مقدمة أولوياتنا الوطنية .

في هذا الإطار يقول السيد الرئيس : فإن إسرائيل مازالت تحتل أرضنا في الجولان ، وهو موضوع يشكل همنا الأول وشغلنا الشاغل . وتحريــر أراضينا المحتلة هو هدف أساسي وموقعه في المقدمة من سلم الأولويــات الوطنية .. وأهميته بالنسبة لنا توازي أهمية السلام العادل والشامل الذي اعتمدناه خياراً استراتيجياً .. لكن ليس على حساب أرضنا ولا علــى حساب سيادتنا . فالأرض والسيادة هما قضية كرامة وطنية وقومية ، ولا يمكن .. وغير مسموح لأحد أن يفرط بها ، ولقد كنــا واضــحين في تعاملنا .. ثابتين في مواقفنا منذ بدء العمليــة الســلمية في مدريد عــام 1991 وذلك بعكس السياسة الإسرائيلية التي اتسمت بالتذبذب حينــاً وبوضع العراقيل أحياناً أخرى .

وحتى هذه اللحظة لم يقدموا أي دليل يجعلنا نثق أن لديهم الرغبــة الصادقة في إنجاز السلام .. بل إنهم يطرحون طروحات مختلفة التغطيــة على ما يضمرونه .. فيطلبون منا أن نكون مرنين .. ويقصدون بــذلك أن تكون الأرض مرنة .. وبالتالي يضغطون على حدودها ويقلــصونها

بالشكل الذي يناسبهم ويناسب مصالحهم ، أو يرسلون من يطلب منا أن نوافق على خط معدل عن خط الرابع من حزيران ، ونطلق على هذا الخط الجديد المعدل اسم خط الرابع من حزيران ، وكأن الاختلاف هو على التسمية .

ثم يقولون لنا خذوا 95% من الأرض ، وعندما نسأل عن 5% الباقية يقولون هي ليست مشكلة .. بضعة أمتار يجب ألا تكون عائقاً في وجه السلام .. فإذا كانت هذه البضعة أمتار ليست مشكلة ، ولا يجب أن تكون عائقاً في وجه السلام ، لماذا لا يعيدون خط الرابع من حزيران ويعطوننا خمسة بالمئة من الجانب الغربي من البحيرة .

لقد راهنوا على أشياء كثيرة .. راهنوا على صحة القائد(الأسد) ونسوا إن القادة الوطنيين الذين يدخلون التاريخ من بوابة الوطن يدخلون إلى عالم الخلود من البوابة ذاتها ، ولا يدخلونها من بوابة التفريط والتنازلات .

راهنوا على القوة العسكرية ودحروا في لبنان ، راهنوا على وحدتنا الوطنية وأفشل شعبنا هذا الرهان .. والآن على ماذا يراهنون . إن الرهان الوحيد الذي يمكن أن يكتب له النجاح هو الرهان على إرادة الشعوب في استعادة حقوقها ، وذلك من خلال استعادة الأرض كاملة حتى خط الرابع من حزيران 1967 وعندها فقط يمكن الانطلاق باتجاه السلام العادل والشامل .

إننا ندعو الولايات المتحدة الأمريكية لكي تقوم بدورها بشكل كامل كراعٍ لعملية السلام بشكل حيادي ونزيه ، إذ لابد من ممارسة التأثير المطلوب لتنفيذ قرارات الشرعية الدولية بما نصت عليه من حقوق للشعب اللبناني ، والسوري ، والفلسطيني .

لسنا مستعدين للتفريط ، ونؤكد هنا على أننا مستعجلون لتحقيق

السلام ، ولكننا غير مستعدين للتفريط بالأرض ، ولا نقبل لـــسيادتنا أن تمس ، بمعنى إننا نستعجل السلام لأنه خيارنا والشعب العربي الـــسوري شعب محب للسلام عبر التاريخ .. ولأننا مشتاقون لكي يعود الجـــولان ويعود أهله إلى الوطن ، وغير مستعدين للتفريط بالأرض لأننا لا نقبل بها منقوصة أو على حساب السيـــادة الوطنية ، وأهلنا الصامدون فيها لـــن يكونوا لا اليوم ولا في المستقبل القريب ، أو البعيد إلا عرباً ســـوريين . ولأن الزمان مهما طال فإن هذه الأرض ستبقى لنا وستعود كاملة عاجلاً أم أجلاً ، ولن نكون مستعدين لدفع ضريبة عجز الحكومات الإسرائيلية وعدم قدرتها على اتخاذ القرارات التي تدفع عملية السلام إلى الأمام على حساب سيادتنا وكرامتنا .

كرة السلام التي يلقونها في الملاعب المختلفة حسب مزاجهم هي كرة ثقيلة ، وحملها يحتاج إلى رجال دولة قادرين على اتخاذ قرارات صـــعبة وليس لمجرد مسؤولين في أي موقع كانوا فيه ، كلما حملوا معهم هـــذه الكرة مالوا ومالت معهم المناصب .

مراجع الباب الثالث

١. مجلة الشاهد – العدد 994 – ص 46.

٢. قدسي ، صفوان – حافظ الأسد – المثابة الوطنية والمرجعية القوميـــة – ص 127 – 128.

٣. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني – ص 160 .

٤. عليان ، نور الدين – الدلائل الاستراتيجية في السياسة الإسرائيلية ص 284

٥. جريدة السفير اللبنانية – العدد الصادر في 12 / 10 / 2002 .

٦. مجلة الشاهد – العدد 107 – ص 44 .

٧. مجلة المجلة – العدد 836 – ص 41 .

٨. مجلة الكفاح العربي – العدد 912 – ص 15 .

٩. قدسي ، صفوان – حافظ الأسد – المثابة الوطنية والمرجعية القومية – ص 166 .

١٠. مجلة المجلة – العدد 868 – ص 16 .

١١. مجلة المجلة – العدد 855 – ص 21 .

١٢. شدود ، ماجد – حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني – ص 173 .

١٣. الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام – ص 259 .

١٤. بيلونة ، عدنان مصطفى – حافظ الأسد والأمن القومي العربي – ص 356.

١٥. قدسي ، صفوان – حافظ الأسد – المثابة الوطنية والمرجعية القومية – ص 135.

١٦. مجلة الوسط – العدد 248 – ص 20 – 22.

١٧. قدسي ، صفوان – حافظ الأسد – التحديات الكبرى والاستجابات العظمى – ص 130 .

١٨. المرجع السابق – ص 231 .

١٩. جريدة البعث السورية – العدد الصادر في **13 / 1 / 2000** .

٢٠. جريدة تشرين السورية – العدد الصادر في **11 / 1 / 2000** .

٢١. مجلة الحوادث – العدد الصادر في **28 / 1 / 2000** – ص **31** .

٢٢. جريدة الثورة السورية – العدد الصادر في **18 / 1 / 2000** .

خـــاتمـــة

كان الجولان القضية الأكثر اهتماماً وهماً للرئيس الخالد حافظ الأسد والذي وضع نصب عينيه تحرير الجولان منذ أن تولى رئاسة الجمهورية في سورية في عام 1970 وعلى مدى الثلاثة عقود التي حكم فيها ســـورية عمل جاهداً بكل الإمكانيات المتاحة لتحقيق هذا الهدف .

إن الجيش العربي السوري الذي لم يكن قد ضمّد جراحه بعد نكسة حزيران 1967 عاد من جديد مع الرئيس الخالد ينظم صفوفه ويـــستعيد روحه المعنوية والقتالية ، فبعد ثلاث سنوات من حكم الرئيس الخالـــد حافظ الأسد كانت حرب تشرين التحريرية المعركة التي أعادت للعرب عزتهم وكرامتهم ، وأعادت للجندي العربي معنوياتـــه وثقتـــه بنفـــسه وحطمت بالتالي أسطورة التفوق الإسرائيلي والجيش الذي لا يقهر .

بعد حرب تشرين دخلت منطقة الشرق الأوسط بعـــدة مـــتغيرات دولية وحروباً إقليميـــة وتمثلت بالحرب الأهليـــة في لبنان ، واتفاقيـــة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيـــل ، ثم الحرب العراقيـــة – الإيرانيـــة والغزو الإسرائيلي للبنان ، وبعد هذه المرحلة غزو العراق للكويت وبداية حرب الخليج الأولى ، والتي مهدت لوضع شروط الســـلام في المنطقـــة ووفق المقترحـــات الأمريكية ، ونتيجة للموافقة السورية لهذه المقترحات عقد مؤتمر مدريد على أرضية القرارين 338 ــ 242 ومبـــدأ عـــودة الأرض مقابل السلام ، إلى أن كشف المؤتمر وكشفت العملية الـــسلمية حقيقة إسرائيل التي كانت تراوغ وتماطل لتـــسويف العمليـــة الـــسلمية وإخراجها عن إطارها الصحيح .

بعد هذه المرحلة ودّعت سورية قائدها الكبير ، وبايع شعبها الدكتور بشار الأسد رئيساً للجمهورية واستمراراً للثوابت التي تقوم على المطالبة بالانسحاب الكامل من الجولان إلى ما وراء خطوط الرابع من حزيـــران 1967 وعلى أساس الأرض مقابل السلام وبمرجعية القرارات الدولية .

جمّدت العملية السلمية جموداً تاماً ، وبدأت مرحلة جديدة وسيناريو أمريكي – بريطاني مع حرب الخليج الثانية ضد العراق لا ضد إســـرائيل التي احتلت ، ودمرّت ، وشردت ، واكتنـــزته ما اكتنـــزته من أسلحة للدمار الشامل والمحرمة دولياً . ليخرج هذا السيناريو بما يعلمه الله وبمـــا سنعلمه في العاجل أو الآجل .

الملاحق

الملحق / 1 /

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم / 242 /

الصادر في 22 نوفمبر عام 1967

إن مجلس الأمن :

إذ يعبر عن قلقه المستمر إزاء الوضع الخطير في الشرق الأوسط وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب والحاجة إلى العمل لأجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن ، وإذ يؤكد أيضاً إن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقاً للمادة الثانية من الميثاق .

١- يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ، ودائم في الشرق الأوسط ، الأمر الذي يجب أن يتضمن تطبيق كلا المبدأين الآتيين :

أ- انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير .

ب- إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء بها ، واحترام والاعتراف بالسيادة ووحدة الأراضي ، والاستقلال السياسي الخاصة بكل دولة

في المنطقة وبحقها في أن تعيش في سلام في نطـاق حـدود آمنـة ومعترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها .

١- ويؤكد المجلس أيضاً ضرورة :

أ- ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب- التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج ـ ضمان الاستقلال السياسي لكل دولـة في المنطقـة وعـدم الاعتداء على أراضيها ، وذلك عن طريق إجراءات من بينها إقامـة مناطق منزوعة السلاح .

٢- يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلاً خاصاً ليتوجه إلى الشرق الأوسط لإقامة ومداومة الاتصالات مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق والمساعدة في الجهود للتوصل إلى تسوية سلمية ومقبولة وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة في هذا القرار .

٣- يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس عن مدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن .

الملحق / 2 /

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم / 338 /
الصادر في 22 أكتوبر عام 1973

إن مجلس الأمن :

١- يدعو جميع أطراف القتال الحالي إلى وقف كل إطلاق للنيران إنهاء كل نشاط عسكري فوراً ، في فترة لا تتجاوز 12 ساعة من لحظة اعتماد هذا القرار ، وذلك في المواقع التي يحتلونها الآن .

٢- ويدعو الأطراف المعنيين إلى البدء فور وقف إطلاق النار في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242 / 1967 بكل أجزائه .

٣- ويقرر أن يبدأ فور وقف إطلاق النار إجراء المفاوضات بين الأطراف المعنيين تحت الرعاية المناسبة بهدف إقرار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط .

المراجع

١- خير ، صفوح – إقليم الجولان – السلسلة القومية 12 –دمشق ، 1976- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

٢- الخالد ، كمال – الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني –ط١–دمشق 1984 .

٣- قدسي ، صفوان –حافظ الأسد " المثابة الوطنية والمرجعية القومية " – ط١- دمشق ، 1999 – مطبعة دار العلم .

٤- قدسي ، صفوان –حافظ الأسد "التحديات الكبرى والاستجابات العظمى" – ط١ – دمشق 2000 – مطبعة دار العلم .

٥- شدود ، ماجد- حافظ الأسد والصراع العربي الصهيوني –ط 2- دمشق 1998- مكتب الإعداد الحزبي والقطري .

٦- الموسى ، غازي – الجولان بين الحرب والسلام –ط1- دمشق 1996- دار الجمهورية للطباعة .

٧- البدري ، طاهر – القدس بداية النهاية لدولة إسرائيل – ط1 – القاهرة 2001- ميريت للنشر والمعلومات. المطبعة الذهبية .

٨- عليان، نور الدين – الدلائل الاستراتيجية في السياسة الإسرائيلية –ط1- دمشق 1995 – البسام للدراسات والمعلومات .

٩- حبش ، جورج- من داخل إسرائيل – تحرير عماد جاد –ط١- القاهرة 2002- ميريت للنشر والمعلومات .

١٠- الموعد ، حمد سعيد – حرب المياه في الشرق الأوسط – دمشق – 1990 – دار كنعان للدراسات والنشر.

١١- عويد ، عدنان – معوقات حركة التحرر العربية في القرن العشرين –

دمشق 2002 – دار المدى .
١٢– الدجاني ، هشام – الإدارات الأمريكية وإسرائيل – دمشق 1994 – منشورات وزارة الثقافة .
١٣– بيلونة ، عدنان مصطفى – القائد الأسد والأمن القومي –ط١– بيروت 1999– دار بلال .
١٤– محمود ، معين أحمد– الجديد في العسكرية الإسرائيلية –ط١– بيروت 1972– منشورات عويدات .
١٥– بيكر ، جيمس – مذكرات جيمس بيكر " سياسة الدبلوماسية " – ط١– القاهرة 1999 – مكتبة مدبولي .
١٦– مجموعة من المثقفين – دراسات اشتراكية – الجولان – دمشق .
١٧– استراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها – دمشق – مطبعة القيادة القطرية .
١٨– هوغان ، مايكل جي – نهاية الحرب الباردة "مدلولاتها وملابساته" – ترجمة: محمد أسامة القوتلي – دمشق 1998– مطابع وزارة الثقافة .
١٩– نخبة من المثقفين – محافظة القنيطرة "دراسة شاملة " –ط١– دمشق 1987– دار يعرب للدراسات والترجمة والنشر .
٢٠– بيربروجلو ، بيرش– اضطراب في الشرق الأوسط – ترجمة فخري لبيب – المشروع القومي للترجمة – العدد 340– ط١– القاهرة 2002 .
٢١– مركاريان ، روبرت _ مصطفى، ناديا – عبدالجواد ، جمال – الفكر الاستراتيجي – العددان 13– 14– بيروت 1985– معهد الإنماء العربي .
٢٢– اتينجر ، صموئيل – تقديم رشاد الشامي – اليهود في البلدان العربية والإسلامية – مجلة عالم المعرفة العدد197 – الكويت 1997 .
٢٣– الشامي ، رشاد عبد الله – إشكالية الهوية في إسرائيل . مجلة عالم المعرفة . العدد 224 – الكويت 1997 .

الصحف

١- الثورة السورية : العدد الصادر بتاريخ 18 / 1 / 2000

٢- البعث السورية : العدد الصادر بتاريخ 13 / 1 / 2000

٣- البعث السورية : العدد الصادر بتاريخ 19 / 1 / 2003

٤- تشرين السورية : العدد الصادر بتاريخ 11 / 1 / 2000

٥- السفير اللبنانية : العدد الصادر بتاريخ 12 / 10 / 2002

٦- قضايا : العدد الصادر بتاريخ 15 / 10 / 2001

المجلات

١- مجلة تشرين الأسبوعي العدد الصادر في- 18 / 7 /2000

٢- مجلة الكفاح العربي العدد الصادر بتاريخ 1996/1/22

٣- مجلة الحوادث العدد الصادر بتاريخ- 2000/1/28

٤- مجلة الحوادث العدد الصادر بتاريخ- 1997/1/31

٥- مجلة الشاهد العدد الصادر بتاريخ تموز- /1994/7

٦- مجلة الوسيط العدد الصادر بتاريخ - 1996

٧- مجلة المجلة في العدد بتاريخ- 5 / 8 / 1995

٨- مجلة المجلة في العدد بتاريخ- 30 / 12 / 1995

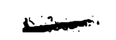
٩- مجلة المجلة في العدد بتاريخ- 24 / 2 / 1996

١٠ - مجلة المجلة في العدد بتاريخ- 6 / 7 / 1996

١١-مجلة العربي الكويتية في العدد الصادر في نيسان - 1995

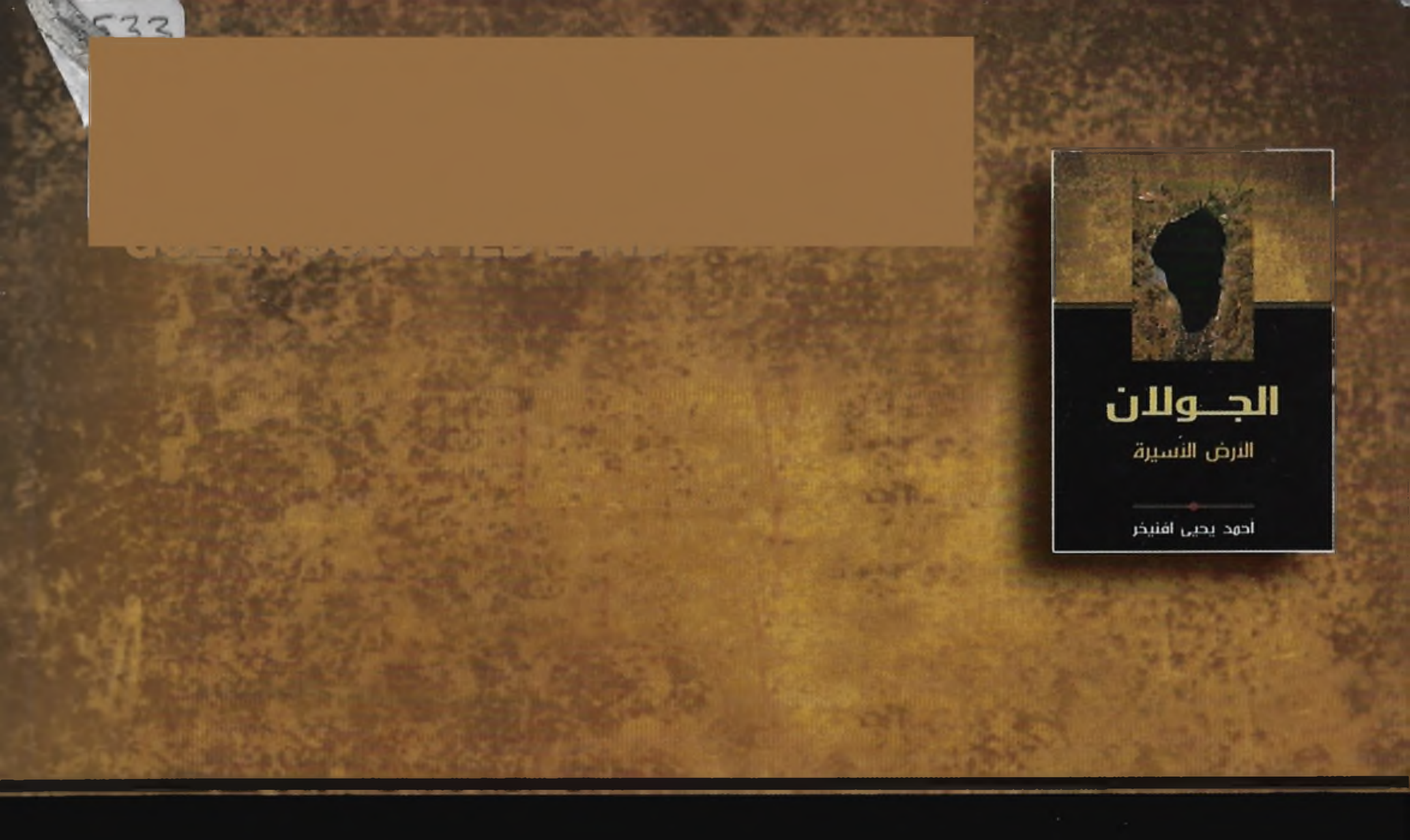
١٢-مجلة العربي الكويتية العدد الصادر في تشرين- 2000

١٣-مجلة العربي الكويتية في العدد في أيار- 2001



الفهرس





هذا الكتاب " الارض الاسيرة " دراسة حول الجولان المغتصب من قبل الكيان الصهيوني إثر نكسة حزيران ١٩٦٧ .

يسلط الكاتب الضوء على النواحي الجغرافية ، والتاريخية ، والطبيعية والديموغرافية ، والسياسية متطرقاً إلى المشروع الصهيوني منذ بداياته وحتى قيام إسرائيل ، إضافةً إلى تركيبتها السياسية الداخلية .

وأحمد افنيخر رغم عدم تخصصه ، ورغم أنه لم يلد ولم يرى الجولان إلا انه يعرفها من خلال ذويه وذكرياته ، وقراءاته المتأنية والجدية حول الجولان .

وأخيرا ... ينهي المؤل [redacted]